الإسلام في موكب الإصلاح

توحيد الزى

للأستاذ محمد عبد الله السمان

حين وثب الجيش المصرى الباسل وثبته المباركة ، رجونا الله عز وجل أن يهب للشعب فقها فى عقليته ، حتى يهضم معانيها ويساير خطواتها ، فتؤتى أكلها ، وتقدم للوطن من ثمراتها الطيبات ما ينهض به ، ويعلى كلمته ، ويرفع قدره

ولقد أتاحت وثبة الجيش المباركة فرصة طيبة للاصلاح حتى يقوم على أسس ثابتة ؛ ومهدت للنهضة حتى ترتكز على أصول مستقرة ، وكان يحدونا الأمل فى أن تجد الفقهاء من المصلحين حتى يضعوا أسس الإصلاح ، والفقهاء من المشرعين حتى يضعوا أصول النهضة ؛ ولكن يظهر أن الفقهاء من المصلحين يضنون بفقههم على مصر ، والفقهاء من المشرعين يدخرون فقههم لبلد غير مصر ؛ أو أن الفقهاء من المصلحين والمشرعين لم يزل اليأس الذى أورثهم إياه العهد البائد يجثم على صدورهم ، فآثروا الدعة على النشاط ، والانزواء على النهوض ، وتركوا الميدان خاليا إلا من شراذم تتصنع الثرثرة فى توافه المسائل ، والجلبة فى سفساف الأمور ، والرغاء فى كل ما من شأنه أن يثير الجدل والمراء !

ولعل فى مهزلة « توحيد الزى » التى تمثل اليوم على المسرح دليلا على ما قدمت . فأى معنى لأن يرتفع سعرها وتروج سوقها فى وقت لا حاجة لنا بها ، ونحن فى مستهل عهد جديد مشرق نريده جدا لا هزلا ، وحقا لا عبثا ، ونرجوه مقوضا أركان العهد البائد وماحيا آثاره ، ومحققا لآمال الشعب وأمانى الوطن ! أى معنى لأن يرتفع سعر المهزلة وتروج سوقها اليوم ، وهى لا تعود على البلد بذرة واحدة من الخير ؟ إنها لا تدفع جوعا عن بطون أعياها الجوع ، ولا تستر أجسادا أضناها العرى ، ولا تهدئ نفوسا أثقلها الفقر ، وأنهكها الشقاء ، وأفزعها الحرمان !

البلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الإنعاش الاقتصادى حتى تهدأ النفوس ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى كثير من نواحى الإصلاح حتى تستقر الأوضاع ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الخطوات العمرانية حتى تستقيم الأمور . وشعب هذا البلد فى شدة الحاجة إلى بعثه من جديد ، وخلقه خلقا آخر حتى يكون جديرا ببلد يبنى الإصلاح فى شتى صوره ، ويبنى النهضة فى أكمل منازلها ، ويبنى الرفعة فى أسمى درجاتها ، وليس البلد فى حاجة إلى توحيد الزى ، ومعظم الشعب يجهد فى سبيل الحصول على رقعة تغطى سوءته ، وتستر عورته ، وتدفع عنه رزايا الشتاء !

كان الأجدر بهذه الشرذمة الداعية إلى توحيد الزى أن تتجه اتجاها يمس الإصلاح الحقيقى فى صميمه . وما أكثر نواحى الإصلاح التى يحتاجها البلد اليوم ويحن إليها ويهيم بها ، حتى لا تضيع جهودها سدى ، وتضيع أوقاتها فى غير جدوى ، وتتبخر هممها فى سماء النقاش الممل ، والجدل المتعب . كان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح القرية حتى تليق بسكنى الآدميين ، أو نحو إصلاح الفلاح حتى يليق بالآدمية التى أكرمها الله تبارك وتعالى ، أو نحو إصلاح العامل حتى يثمر الثمرة المرجوة فى العهد الجديد ، وكان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح المجتمع فتهب له أوقاتها ، وتجود عليه بجهودها حتى ينهض فتنهض مصر بجانبه ، وحتى يسعد فيسعد الشعب فى ظلاله

لتذهب هذه الشرذمة إلى الريف لترى بأعينها من المآسى ما تشيب من أجلها النواصى ، ولتذهب إلى بلاد الصعيد لتقف بنفسها على الآلام التى تحطم الأعصاب وتهز القلوب ، لتذهب إلى القرى لترى كيف يعيش الفلاحون هناك فى حظائر تزاحمهم عليها مواشيهم ، وكيف يأكلون طعاما تزاحمهم عليه كلابهم ، وكيف يحيون بعد هذا حياة لا وزن لها إلا فى دنيا التعاسة والشقاء .. لتذهب هذه الشرذمة إلى أية جهة من هذه الجهات لتوقن بأن جهادها فى بدعتها هذه عبث ، وبأن أوقاتها فى سبيلها لهو ، وبأن حملتها لتحقيق هدفها ضرب من ضروب التسلية التى لا تليق بهذا الفجر الجديد

إن هذه المهزلة خلقت جوا من الجدل كنا فى غنى عنه ، فقد ولدت (القبعة) وجعلت منها مشكلة معضلة ، أثارت

20 me année No 1010

Le Caire 10 — 11 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نصيب قريتي من الثورة

قريتي الصغيرة الفقيرة هي إحدى القرى الخمسين التابعة لمركز طلخا ؛ ومركز طلخا هو أوحد المراكز جميعاً في فحش النظام الإقطاعي وفجوره . كل ما يملك فلاحه من أرضه أمتار ينام فوقها وهوحي ، وأشبار يرقد تحتها وهوميت . أما ملاكه فهم آل طوسون ، وآل البدراوى ، ومحمد على ، ووحيد يسرى ، وسرسق ، ووزارة الأوقاف ! لذلك كانت جملة الأرض التي نزعها قانون الإصلاح الزراعى من كبار ملاكه ، ليوزعها على صغار زراعه ، اثنين وثلاثين ألف فدان في السنة الأولى من سني التوزيع الخمس ! وهذا الرقم الأولى الضخم يشعرك ولا شك بالحياة الأليمة التي كان يحياها أولئك البائسون التعسون في ظلال الأسرة العلوية الكريمة !

كانوا يعملون العام كله دائبين ليل نهار ، لا تختلف امرأة عن رجل ، ولا يتخلف صغير عن كبير ، ولا تفترق ماشية عن آلة . حتى إذا آتت الأرض الطيبة أكلها لحصدوا القمح ، وضموا الرز ، وجمعوا القطن ، وقطعوا الذرة ، ذهب أولئك كله إلى المالك المرهوب ، إما عينا في مخازنه ، وإما نقداً في خزائنه ! أستغفر الله ! لقد تدرك الرحمة أحيانا قلب الباشا أو الأمير ، فيترك للفلاح أو للأجير ، أرغفة من الذرة يتبلغ بها كل يوم ، وجلبابا من القطن يرتديه طول السنة ، وأرطالا من اللحم يتذوقها كل عيد ! أما نصيبه من ثمن قطنه ورزه ، فيقول له ناظر البدراوى : أخذناه لأن أباك أو جدك كان مدينا لنا في الماضي ! ويقول له مفتش طوسون : حجزناه لأن إجارتك ربما تخسر في المستقبل ! فإذا همّ بأن يشكو ، حجز الناظر ماشيته عن الغيط ، ومحصوله عن البيت . وإذا جرؤ على أن يحتج ، أمر المفتش (مأمور البوليس) أن يمتثل أيامًا ليسلمه إلى جنوده فيصبّحوه بالعصا ، ويمسّوه بالكرباج !

في قرية من قرى هذا المركز البائس نشأت ؛ وفي غمرة هذا البؤس الذي لا حد له ولا حيلة فيه رأيت الباشا كيف يطغى وينسى الله ، والمفتش كيف يبغى وينسى العدل ، والفلاح كيف يذل وينسى الحرية ، والأجير كيف يهون وينسى الحياة !

وفي (وحى الرسالة) في مجلداته الثلاثة وصفت مآسى هذه الأمة من الناس ، وهذه القرية من القرى ، وصفا كان مداده الدمع ، وكانت كلماته الأنين ! فإذا عرفت أمرهم على الوجه الذي عرفته ، وأدركت حالهم من الوصف الذي وصفته ، تبينت في جلاء ويسر نصيبهم من نهضة الجيش . لقد كانوا أذلاء فعزوا ؛ وكانوا أرقاء فسادوا ؛ وكانوا أجراء فملكوا . ثم كانوا أداة إنتاج لغيرهم فأصبحوا عامل استغلال لأنفسهم ؛ وكانوا رعايا الباشا كالدواب فأصبحوا رعايا الدولة كالناس ! وجملة أمرهم أن الله انتقم لحرمانهم من الحارم ، وداول الأيام بينهم وبين الظالم ، فكانت البؤسى لمن بغى ، وكانت النعمى لمن صبر !

احمد حسن الزيات

موا كب الترمت والجمود الراكدة التي تعودت أن تتحرك فى التوافه والسفاسف ، لتثبت وجودها وتؤكد بقاءها فى مسرح الحياة . ولو أنها ثارت باسم عقليتها وأفكارها لما ألقينا لهـا بالا ولما حسبنا لثورتها وضوضائها حسابا ؛ لأن ثورتها مصيرها إلى التلاشي ، وثرثرتها وضوضاءها مصيرها إلى التبخر ، ولـكنها تحرص على أن تثور باسم الإسلام ، وكأن الإسلام آمن من كل جانب فهى تخشى عليه القبعة ، وعزيز فى كل ناحية فهى تخاف عليه انتشارها ، ولو فقهت موا كب الجمود هذه لناقشت المهزلة قبل أن تعرض بالإسلام وتزج به ، وتصوره للشرذمة الداعية إلى توحيد الزى كمنهج إصلاحى ، بصورة مشوهة تجعل منه عقبة فى سبيل كل إصلاح . فإذا كان توحيد الزى وسيلة من وسائل الإصلاح فالإسلام يؤيده ويؤازره ويباركه ويدعوله، لأن الإسلام لم يحتم على الناس زيا خاصا ، ولا يتحكم فى أزيائهم ؛ بل يتركها لتطورات الزمن واختلاف البيئات ، فقدكان الرسول صلوات الله عليه يلبس القميص والجبة والقباء والحلة والبردة وما إلى ذلك . وكان يلبس العمامة وتحتها القلنسوة ، والقلنسوة بغير عمامة ، والعمامة بغير قلنسوة ، ولبس العمامة الخضراء والبيضاء والسوداء ، ولبس الصوف والقطن والـكتان ، وكان هديه فى هـذا أن يلبس الإنسان ما تيسر له . .

تثور موا كب الجمود على القبعة لأنها من أزياء الـكفار . . ومن تشبه بقوم فهو منهم . . ولابد أنها لا تفقه أن رسول الله (ص) ارتدى « مستقة » —وهى نوع من الثياب— أهداها له ملك الروم ، وأنه (ص) ارتدى «القباطى» وهى نوع من الثياب أيضا كان يصنعه أقباط مصر . فانظر كيف تؤول حديثه الشريف تأويلا فاسدا ، وتفسره تفسيرا يتفق مع جمودها وجهلها وترمتها

والإسلام لا يعيب على المسلمين أن يتبعوا سنن من سبقهم إلى الإصلاح ، ولـكنه يعيب عليهم أن يقفوا إزاء الإصلاح موثوق الأكتاف ، أو يقفوا فى طريقه عقبة كأداء . والإسلام مرة أخرى لا يتحكم فى الأزياء ، ولا يزج بنفسه فيها ، لأن الأزياء مرتبطة بتطورات الزمن وأمزجة الشعوب ، وهو أيسر من أن يعوق تطور الزمن ، وأسمى من أن يحجر على أمزجة الشعوب

وبعد .. فنحن مضطرون إلى أن نهمس فى آذان دعاة مهزلة توحيد الزى حتى يعلموا إلى أى واد هم مسوقون . وليدركوا أن العهد الذى كان يشجع إشغال الرأى العام بسفساف الأمور قد انقرض إلى غير رجعة ، وأن الوعى الجديد لن يسمح بعد اليوم بأن يستغل استغلالا سيئا يشينه ويشين البلد معه ، وخير لها أن تعلو بهمتها إلى ما يفيد الوطن والمجتمع ، من أن تبعثر جهودها لتتلاشى فى مهب الريح ؛ ومضطرون أيضا إلى أن نهمس فى آذان موا كب الجمود حتى تفيق من جمودها ، وتعلم أن الإسلام ليس سلعة رخيصة تلقى بها فى كل سوق ، وليس مطية هينة تحترف فوقها الدجل والشعوذة ، وتصطنع الجدل والثرثرة ؛ لأن الإسلام أكرم على الله وعلى المسلمين من أن يكون شيئا من هذا أو ذاك

وخير للاسلام أن يرسم خطط الإصلاح ، ويضع أسس النهضة ، ويشرع نظم الاستقرار ، من أن يزج به فى توافه الأمور وصغائرها !

محمد عبد الله السمان

٢ – على هامش الدفاع
عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

سياسة توازن القوى

تشهد السياسة الدولية اليوم بعثا جديدا لمبدإ «توازن القوى» وهو مبدأ دبلوماسي قديم اتبعته الدول الكبرى فى القرن الثامن عشر وحققت به فترة هدوء نسبى فى العلاقات الدولية تختلف عن الفترة التى مر بها القرن العشرون بحروبه وثوراته ومشاكله العويصة التى تفوق حروب القرون السالفة ومشاكلها فى العدد والخطورة

ومبدأ « توازن القوى » كان ولا يزال علما على أسوإ ما فى الدبلوماسية الدولية من قساوة وانتهازية . فى ظل هذا المبدإ استطاعت الدول الكبرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن تتقاسم النفوذ وأن توطد لنفسها فترة هدوء نسبى ساعدها على إخضاع الشعوب المستضعفة فى آسيا وإفريقيا وأميركا الجنوبية واستغلالها استغلالا سياسيا واقتصاديا الاستعمار علم عليه

ويبدو أن موجات التحرر والانطلاق التى جاءت نتيجة لازدياد الوعى السياسى والفكرى الذى اجتاح العالم فى أوائل القرن العشرين – هذه الموجات استطاعت أن تزعزع أركان مبدإ « توازن القوى » وأن تفصم عرى هذا التواطؤ الذى هيمن على سياسة الدول الكبرى التى كانت تتكتل فى مجموعات سياسية وعسكرية لتتقسم النفوذ فى الميدان الدولى وتظل كل كتلة رقيبة على مطامع الأخرى لئلا يضيع على أى منها جزء من هذا النفوذ سواء فى الدبلوماسية الدولية أم فى مجال الاستعمار والتوسع الاقتصادى

ولما وقعت الواقعة وانفكت عرى هذا التكتل وخرجت روسيا القيصرية والإمبراطورية الإسبانية من ميدان التنافس واختل ميزان القوى الدولية بين الدول الكبرى وطمحت ألمانيا القيصرية أولا والهتلرية بعد ذلك لأن تنافس الكتلة الإنجلو فرنسية فى مجال السيادة الدبلوماسية على العالم الحر وعلى العالم المستعبد ؛ أخذت العلاقات الدولية تمر فى طور السياسة الانفرادية التى تحاول فيها كل دولة أن تحقق لنفسها أكبر قسط من النفوذ على حساب أى دولة أخرى ولو كانت هذه الدولة تشاركها الأهداف وتشاطرها مبدأ الاستعمار وتجاريها فى السلوك التجارى والأيديولوجية السياسية

وفى المرتين اللتين حاولت فيهما الكتلة – الإنجلو فرنسية أن تقضى على النفوذ الألمانى كانت عوامل الشقاق بين الإنكليز والفرنسيين تلعب دورا هاما فى توجيه السياسة العالمية . وقد برز هذا الشرق فى أعقاب الحرب العالمية على أشده فى قضية سوريا ولبنان وفى مستقبل المستعمرات الإيطالية السابقة التى كانت سياسة بريطانيا إزاءها تختلف إلى حد بعيد عن سياسة الفرنسيين

ولما أن دخل الاتحاد السوفييتى دخول العملاق إلى المجتمع الدولى فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة أخذت العلاقات الدولية تمر فى طور جديد كان مشجعا على إحياء مبدإ سياسة توازن القوى وبعثها من جديد . فالأيديولوجية السوفييتية وإن كانت لا تنص على مبدإ توازن القوى إلا أنها تحتوى على مبادئ أبعد من هذا المبدإ – مبادئ تؤكد بأن لا مجال للوطن الشيوعى الأم (وهو الاتحاد السوفييتى) إذا أراد أن يعيش سالما معززا إلا إذا تم تحويل العالم بأسره إلى النظام الشيوعى

ومهما حاولنا أن نعلل الأسباب الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية التى دعت إلى ازدياد التوتر بين روسيا السوفييتية وحلفاء الغرب فى عالم ما بعد الحرب العالمية الأخيرة فلا سبيل إلى الإنكار بأن مبدأ التوسع الشيوعى يستند إلى هذه النقطة الجوهرية فى تعاليم ماركس وشرح لينين وستالين عليها – هذه النقطة هى ضمان السلامة والاستقرار للاتحاد السوفييتى بتوطيد الشيوعية فى العالم بأسره على أن يتم ذلك بالتدريج . وفعلا لم يجد الاتحاد السوفييتى صعوبة فى السعى لتحويل المناطق الجغرافية المجاورة له إلى حصون شيوعية كما تشهد بذلك مجموعة الدول الشيوعية فى شرق أوربا وفى البلقان وفى الشرق الأقصى (فى الصين وكوريا الشمالية ومنغوليا والتبت) . وبذلك استطاع الاتحاد السوفييتى إيجاد

كتلة سياسية شديدة البأس والحول لا يواجهها فى المجتمع الدولى كتلة مماثلة فى القوة والنفوذ

وكانت هذه الوضعية فى حد ذاتها بعثا لمبدأ « توازن القوى » الذى أغرم به ساسة القرنين الثامن والتاسع عشر — وسواء جاء ميلاد هذه الكتلة الشيوعية الجديدة عفوا أم كان أمرا مدبرا فالذى يعنينا منه أنه استدعى ميلاد كتلة دولية قوية الدعائم شديدة الحول لها فى ميزان القوى العالمية اعتبار هام

وهنا يجب أن نستذكر بأن العائلة الدولية فى المراحل النهائية فى الحرب العالمية الأخيرة وجدت نفسها موجوعة الضمير مثخنة الجراح مثقلة بالأعباء الإنسانية والاقتصادية والسياسية والمشاكل العاطفية والفكرية التى تعترى المجتمع الإنسانى فى أعقاب الحروب الكبرى . ولذلك ساد تفكير صناع السياسة والحرب فى الدول الكبرى والصغرى على السواء اتجاه جديد يحاول أن يوطد دعائم السلم فى عالم ما بعد الحرب الثانية على أساس التكتل الجماعى — تكتلا حاولت عصبة الأمم المتحدة أن تحققه فى عالم مابعد الحرب الأولى إلا أنها فشلت ، وذلك لأن أفكار الدول وقلوبها لم تكن مهيأة بعد لهذه التجربة فى العمل المشترك والثقة المتبادلة فى تنسيق العلاقات الدولية على أساس الضمان المشترك وتسيير دفة الشؤون العالمية على بوصلة القانون الدولى كما عبر عنه دستور عصبة الأمم المنحلة ولوائح أعمالها الداخلية

وقال الناس إن ويلات الحرب العالمية الأخيرة ومشاكلها كانت أعظم وأعقد من الذيول التى جاءت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وإن هذه الويلات والمشاكل تقتضى إعادة التجربة التى فشلت فى عصبة الأمم المنحلة . ومن ثم ولدت فكرة هيئة الأمم المتحدة ووضع ميثاقها ولوائحها الداخلية على أساس جديد حاول أن يتفادى العقبات التى كانت تعترض دستور عصبة الأمم المنحلة وإجراءاتها الداخلية

ولقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن القصور الذى صاحب أعمال الأمم المتحدة فى المجال السياسى وعن المساوىء التى نتجت عن نشاطها مساوىء أصاب العرب منها طرف خطير فى مأساة فلسطين ، ولكن هذه المساوىء لم تقض قضاء مبرما على مكانة الأمم المتحدة فى العلاقات الدولية ، ولا تزال لهذه الهيئة أهمية قصوى فى تسيير الشؤون الدولية خيرا أم شرا . والمهم أن لا نحكم على هيئة الأمم المتحدة بصلاح البقاء أم بعدمه .. إنما المهم أن ندرك نواحى الضعف فى الدوافع التى تستند هذه الهيئة إليها

ويطيب لى فى هذه المرحلة من البحث أن أستنجد بطبيب اجتماعى كبير جمع بين الثقافتين الشيوعية والغربية واستطاع أن يعالج السياسة الدولية من زاوية فريدة فى هدوء العالم وثقته وترفعه عن الدجل والتهريج . هذا العالم هو البرفسور برميتيف سوروكون [1] أحد أقطاب الحركة السوفييتية سابقا ورئيس دائرة العلوم الاجتماعية الآن فى جامعة هارفارد كبرى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية

قال البرفسور سوروكن — يجب أن لا ننظر إلى الأمم المتحدة كمحكمة عليا للقانون الدولى ، وهى نظرة يخطىء كثير من الناس فى اللجوء إليها عند معالجة أعمال الأمم المتحدة وما ينتج عنها من ذيول . فلا ميثاق الأمم المتحدة ولا الدول الأعضاء تعتبر هيئة الأمم محكمة استئناف للعلاقات الدولية وذلك إلى حد ما من اختصاص محكمة العدل العليا فى لاهاى

إنما هيئة الأمم حلقة للدبلوماسية المفتوحة وهى نمط جديد للمفاوضات الدولية التى كانت فى الماضى تجرى بعيدة عن رقابة الصحفيين وعدسات المصورين وأشرطة السينما وعيون الزوار فى قاعات الاجتماع . ومع أن هيئة الأمم لا تقيد الدول الأعضاء بقراراتها وتوصياتها إلا أن فى القصور عن تنفيذ هذه التوصيات والقرارات مسئولية أدبية تؤثر خيرا أو شرا فى انطباقات الرأى العام العالمى عن سلوك الدول الأعضاء وأهمية ذلك فى تقرير سمعتها

(١) يعتبر برميتيف سوروكن من أقطاب الفكر الاجتماعى المعاصر . وهو روسى المولد عالى الثقافة . اشتغل بالتدريس فى جامعات روسيا القيصرية ثم التحق بالحزب الشيوعى وتوصل الى مكانة سياسية بارزة فى العهد السوفييتى فكان أبرز أعوان كارينسكى رئيس وزراء روسيا السوفييتية قبل رئاسة ستالين وعضوا فى البرلمان السوفييتى ثم انشق على الشيوعيين الروس لاختلافه فى تفسير الماركسية مع ستالين وحكم عليه بالإعدام ولم ينقذه سوى تلاميذه العديدين ومن بينهم عدد من كبار القوم فى العهد الشيوعى فأبعد عن روسيا القيصرية وجاء الى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٢٣ واشتغل بالتدريس وبرز اسمه كأحد دعائم علم الاجتماع المعاصر . هو يتولى الآن رئاسة دائرة العلوم الاجتماعية فى جامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة . وله حـ الى ٥٠ مؤلف كتبها فى مختلف اللغات التى يجيدها إجادة تامة

الدولية على أساس هذا السلوك وما يستتبع ذلك من علو أو انخفاض فى المكانة المالية للدول وأثر ذلك على نفوذها فى السياسة الدولية وثقة الناس بها فى المعدات الدولية والاتفاقيات التجارية وما إلى ذلك من أوجه النشاط الدولى . ففنلندة مثلا بلد ضعيف الحول لا قيمة له من حيث الأهمية السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية . إلا أنه بلد عرف بتقيده بالالتزامات الدولية (سواء داخل المؤسسات المالية أم خارجها) وترتب عن ذلك أن حظيت فنلندة بسمعة رفيعة فى المجتمع الدولى أكسبها مكانة فريدة فى الجو السياسى من حيث أنها استطاعت أن تحفظ رأسها عاليا فوق الماء رغم أن التيارات القوية تهب عليه من كل طرف - من جارها الاتحاد السوفييتى ومن مغريات مشروع مارشال ودول حلف الأطلنطى ووضعية السياسة الأوروبية والدولية إجمالا . وقد نتج كذلك عن السمعة التى تحظى بها فنلنده أن استطاعت ضمان التبادل التجارى القديم مع الشرق والغرب فى فترة تتوتر فيها العلاقات التجارية توترا شديدا

ولكن هيئة الأمم المتحدة قصرت حتى فى أن تحتفظ بهذه الناحية من أهميتها الدولية — هذه الناحية هى اعتبار جزء كبير من الرأى العام العالمى أن الأمم المتحدة هى « المحكمة العليا للضمير الإنسانى »

فهيئة الأمم مؤلفة من مندوبين يمثلون دولا . وهذا التمثيل يفرض على المندوب أن لا يقيس قضية من القضايا بضميره الخاص أو باجتهاده الشخصى ، وإنما عليه أن يتقيد باعتبارات قومية محضة تفرضها عليه القومات السياسية والاقتصادية والعاطفية وأسس السلوك السياسى الذى تتميز به الدول على بعضها . وهذه الاعتبارات إما أن تكون إطاراً فكريا يستمد منه المندوب الوحى على معالجة قضية من القضايا فى حظيرة الأمم المتحدة بالنفى أم بالإيجاب أم بالامتناع عن التصويت ، وإما أن تكون فى شكل تعليمات ترسلها إليه حكومته فى ساعات الفصل وتقيده بشكل قد يوافق ضميره واجتهاده وقد لا يوافق . ويجب أن لا تفسر هذه الإشارة على أنها حط من خلق المندوبين أو انتقاد لأشخاصهم . فالواقع أن من الصعب إن لم يكن من المستحيل على المندوب أن يفرض شخصيته الفردية على الطابع السياسى الذى يلائمه ويهيمن عليه بوصفه ممثلا لحكومة سلوكها السياسى مقيد بعوامل عديدة ومعقدة، وعقدها ناجة عن شذوذ السياسة وتطور الأوضاع وتسيار الحوادث

ولما كان جوهر السلوك فى حظيرة الأمم المتحدة على ما هو عليه من التعقد والتناقض فقد كان من الطبيعى أن يتطاحن فى هذا السلوك اتجاهان :

أحدهما يتوخى التقيد بميثاق الأمم المتحدة والمبادئ والأهداف القويمة التى يخدمها ويجعل بذلك هيئة الأمم « محكمة عليا للضمير الإنسانى » . والآخر سعى الدول الأعضاء لتوجيه الأمم المتحدة توجيها يتمشى مع المصلحة الفردية لكل دولة — أو لمجموعة من الدول تتوافق وتتناسق فيها هذه المصالح . وقد ساد الاتجاه الأول فى مستهل عهد الأمم المتحدة فساد « الضمير الإنسانى » فى قضية سوريا ولبنان وفى سعى الاتحاد السوفييتى لقلب الحكم فى إيران بتحويل القطاع الشمالى فى أذربيجان الإيرانية إلى دولة منفصلة عن الدولة الإيرانية المركزية

وما لبث الاتجاه الثانى أن أثبت وجوده قويا فعالا فطوح « بالضمير الإنسانى » وتكتلت الدول ذوات المصالح المشتركة وباع بعض المندوبين والدول الذين يمثلونها ضمائرهم فاتخذوا من القرارات ما يخالف أبسط مبادئ العدالة و « الضمير الإنسانى » كما تشهد بذلك مأساة فلسطين

ولا يزال هذا الاتجاه الثانى سائدا إلى الآن — بعد أن مر فى مرحلة هامة جعلت القول الفصل للكتل الدولية لا للدول الأفراد — وهذا التكتل هو فى الواقع بعث لمبدأ « توازن القوى » الذى أشرنا إليه فى مستهل هذا البحث

فلا غرابة إذن أن يصرح المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا فى افتتاح الدورة الثانية لمجلس الحلف الأطلنطى . « أن الدول الغربية لم تكن راغبة فى الاندفاع فى التسلح (بعد الحرب العالمية الأخيرة) إلا بعد أن اضطرت إلى ذلك لتحفظ ميزان القوى فى حاضر العالم[٢] »

(٢) من خطاب المستر إيدن فى دورة مجلس الحلف الأطلنطى الثانية المنعقدة فى روما بتاريخ ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ من محضر جلسات الدورة

توازن القوى فى هيئة الأمم

جوهر ميثاق الأمم المتحدة هو ضمان التعاون الدولى لصيانة السلم وهو يمنى آخر اللجوء إلى مبدإ الدفاع المشترك ضد من وما يخل بأمن العالم وسلامته ، فهذا الجوهر إذن على طرف النقيض مع مبدإ « توازن القوى » وقد وجدنا كيف اندفعت الوفود فى هيئة الأمم فى اتجاه التكتل ومعالجة المشاكل والقضايا وصياغة التوصيات والقرارات على ضوء المصلحة المشتركة للدول المتكتلة

وكان من الطبيعى أن يزداد التوتر بين التكتل السياسية داخل هيئة الأمم عا كسا بذلك تيار الحوادث والمشاكل وازدياد التوتر بين المعسكرات السياسية المتطاحنة خارج حظيرة الأمم المتحدة

ولا تسألن من هو الملوم عن ميلاد هذا التوتر — هل هو سوء نية الرأسمالية الأمريكية إزاء الدعوة الشيوعية أم هو طبيعة تعاليم الركسية وسعيها من وراء الستار — عن طريق الجماعات الشيوعية المنظمة فى كل بلد، فقد تفاعلت فى تيار العلاقات الدولية فى سنوات مابعد الحرب عوامل عديدة أدت إلى عو سياسة التكتل داخل هيئة الأمم

ووجد كلا الطرفين فى مستهل عهد الأمم المتحدة أن لهذا التكتل أثماناً وشروطاً لا تتوفر فى بعض الحالات الهامة . فهيئة الأمم ليست منظمة رأسمالية ولا هى مؤسسة شيوعية . ورغم أن القول الفصل فى أعمالها ونشاطها مقيد باتجاهات الدول الكبرى صاحبة القول الفصل وحق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن ؛ إلا أن للدول الصغرى أكثرية عددية كفيلة بأن تماكس (الفيتو) وتشاكس الدول الكبرى فى نفوذها فى صياغة القرارات ووضع التوصيات وفى التصويت عليها

وحاضر السلوك السياسى اليوم فى هيئة الأمم المتحدة يشهد بأن الحالات التى استطاعت فيها الدول أن تظفر بأكثرية الأصوات على مشروع من المشروعات أو قرار من القرارات..هذه الحالات جاءت نتيجة لمساومة مستمرة مع وفود الدول الصغرى — إما فى أروقة هيئة الأمم أوعن طريق البعثات الدبلوماسية فى عواصم الدول وعروشها

ولما كان للكتلة الأنجلوسكسونية نفوذ تقليدى دبلوماسى واقتصادى ، فى كثير من عواصم العالم — نفوذ يفوق نفوذ الاتحاد السوفييتى — فقد كان من المتوقع أن ترجح كفته الكتلة الأنجلوسكسونية على الكتلة السوفييتية

وحشرت الوفود الشيوعية فى ركن ضيق من أركان هيئة الأمم فازداد صراخها واشتد وعيدها وأخذت تعد العدة لمواجهة الموقف بوسائل جديدة بعضها ينفذ داخل هيئة الأمم والبعض الآخر خارجها

ونشطت موسكو فأعادت فى عام ١٩٤٧ تأسيس قيادة الحركة الشيوعية العالمية (الكومنترن) بعد أن كان قد وضع على الرف مؤقتاً فى سنوات الحرب العالمية الأخيرة ووضعت لهذه القيادة خططاً جديدة وأطلق عليها كذلك اسم جديد هو (الكومنفورم) ووجهت موسكو نشاطها توجيهاً عملياً ، والعقلية الشيوعية عملية إلى أبعد حد ، فعززت روسيا سيطرتها على شرقى أوروبا ودبرت انقلاباً سياسياً ناجحاً فى تشيكوسلوفاكيا وأولت الميدان الصينى اعتباراً خاصاً حتى تحقق للشيوعيين الصينيين السيطرة على هذه القارة الصينية الواسعة الأرجاء

وفى حين أن الكتلة السوفييتية فى هيئة الأمم كانت ولا تزال ضعيفة الحول بالمقارنة إلى الكتلة الأنجلوسكسونية أصبحت موسكو بعد انقلاب تشيكوسلوفاكيا وتوطيد النظام الشيوعى فى الصين زعيمة لكتلة تتساوى فى القوة والنفوذ العالمى مع الكتلة التى تتزعمها واشنطون

ومرة أخرى عاد ميزان القوى الدولية إلى نوع من التعادل وأخذت أكثر الدول الصغرى فى آسيا وإفريقيا تعاند شيئاً فشيئاً فى الانسياق مع الكتلة الأنجلوسكسونية ومجاراتها فى القرارات والتوصيات الخاصة ببعض القضايا الخطرة التى تشغل بها هيئة الأمم وأصبحت المساومة مع الدول الآسيوية فى هيئة الأمم أشد صعوبة مما كانت عليه فى السابق وساد تفكير هذه الدول اتجاه «الحياد»

(للكلام صلة) نيويورك عمر حليق

٢ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الجزور :

١ — إذا كان للميسر موضوع كما يقولون ، فهو «الجزور» . والجزور يقع على الذكر والأنثى من الإبل ، ولكنهم أكثر ما ينحرون النوق [1]

٢ — وليست كل ناقة ولا كل بعير بصالح للميسر ، وإنما كانوا يتخيرون أسمنها وأنفسها وأعزها عليهم ، فكأنما ألهموا من وراء الغيب « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . وفى ذلك قول لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها

يقول : رب جزور تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائى لنحرها بتلك المغالق المتشابهة ، وهى سهام الميسر يشبه بعضها بعضا . وأراد بها هنا سهام القرعة يقرع بها بين إبله أيها ينحر لندمائه . فهو يدعو بتلك السهام لنحر ناقة عاقر أو أخرى مطفل . وإنما ذكر « العاقر » لأنها أسمن وأحمل للشحم ، و « المطفل » لنفاستها عليهم وعزتها[2]

٣ — وكان إذا أرادوا أن ييسروا ابتاعوا ناقة بثمن مسمى يضمنونه لصاحبها ، ولم يدفعوا ذلك الثمن حتى يضربوا بالقداح عليها فيعلموا على من يجب الثمن [3]

وسيأتى فيما بعد أن الثمن يدفعه من خابت سهامهم متضامنين فى ذلك بحسب أنصبتهم لو فازوا

٤ — وكانوا قبل أن يضربوا بالقداح يجعلون بينهم عدلا يأخذ من كل امرئ منهم رهنا بما يلزمه من نصيب قدحه إن خاب ، مقدرا كل الاحتمالات التى يتعرض لها النارمون ، ويسمون هذا العمل « التأريب » ، وهو التشديد فى الخطر[4]

وأحيانا يتغالى الياسرون فيجعلون مكان أعشار الناقة أعدادا من الإبل ، كأن يجعلوا موضوع الميسر عشراً من النوق لا ناقة واحدة يقسمونها عشرة أجزاء . وكذلك إذا أرادوا أن يضربوا على أكثر من هذا العدد جعلوا مكان العشر من أعشار الجزور بعيرين ، ومكان عشرين أربعة ، ومكان ثلاثة الأعشار ستة ، فإن زادوا على ذلك فعلى هذا السبيل[5]

٦ — وهناك ميسر آخر غريب ، ذكره طائفة من العلماء ، وهو أن يكون موضوع الميسر إنسانا . وقد أنشدوا فى ذلك قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى ألم تعلموا أنى ابن فارس زهدم

أى ألم تعلموا أنى ابن صاحب الفرس المسمى « زهدم »

قال صاحب اللسان[6] : « كان قد وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام . وقوله : ييسروننى ، هو من الميسر ، أى يجزئوننى ويقتسموننى »

وهذا تفسير ساذج ، ومن الصعب أن يتصوره عاقل إلا أن يريدوا اقتسام رقه وعبوديته فيما بينهم ، كما يكون العبد ملكا لعدة أشخاص يملك كل منهم شقصا منه . ونجد ابن سيده [7] يفسر البيت تفسيرا أشنع من تفسير صاحب اللسان إذ يقول : « وييسروننى من الميسر ، أى يجتزروننى ويقتسموننى » وهو لا ريب تفسير خاطئ

وقد فسره ابن قتيبة [8] تفسيرا عاقلا بقوله : « فمن روى : ييسروننى ، أراد : يقتسموننى ويجعلوننى أجزاء ، أحسبه أراد فداءه ، لأنهم إذا أخذوا فداءه فقسموه فكأنهم اقتسموا نفسه . ومن رواه يأسروننى جعله من الأسر »

الجزار

ويسمونه « القدار » ، على وزن همام . ولذلك القدار خبرة

(١) اللسان (جزر ٤ : ٢٠٤)
(٢) بلوغ الأرب (٣ : ٥٤ — ٥٥)
(٣) الميسر والقداح ١١٢
(٤) الميسر والقداح ١٤٦ — ١٤٧
(٥) الميسر والقداح ١٢٣ ، ١٢٧
(٦) اللسان (يسر)
(٧) المخصص (١٢ : ٢٠)
(٨) فى الميسر والقداح ٣٤

خاصة بتقسيم الجزور ، فهو يقسمها عشرة أقسام : •

فإحدى الوركين جزء ، والورك الأخرى جزء [٩] ، والعجز جزء ، والـكاهل جزء ، والزور — وهو ما ارتفع من الصدر إلى الـكتفين جزء ، واللحاء — وهو وسط الظهر بين الـكاهل والعجز — جزء ، والـكتفان جزء ، والذراعان جزء ، وإحدى الفخذين جزء ، والأخرى جزء

ويبقى بعد ذلك « الطفاطف » ، وهى أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع ، و « فقر الرقبة » ، فتقسم وتفرق على تلك الأجزاء بالسواء ، فإن بقى عظم أو نصفه بعد القسم فذلك الريم ، وكانوا يجعلون ذلك الريم للجازر ، فإن بخلوا به ولم يجعلوه له كان ذلك مسبة لمن لم يجعله

وأما نصيب بائع الناقة فهو الأطراف والرأس غالبا

وذهب الأصمعى فى ذلك مذهبا غريبا ، أنهم كانوا يجزئون الجزور على ثمانية وعشرين جزءا ، ذهب فى ذلك إلى حظوظ القداح ، وهى ثمانية وعشرون ، للفذ حظ ، وللتوأم حظان ، وللرقيب ثلاثة ، وللحلس أربعة ، وللنافس خمسة ، وللمسبل ستة ، وللمعلى سبعة ، فجميع هذه ثمانية وعشرون

قال ابن قتيبة [١٠] : « ولو كان الأمر على ما قال الأصمعى لم يكن هنا قامر ولا مقمور ، ولا فوز ولا خيبة ، لأنه إذا خرج لـكل امرئ قدح من هـذه فأخذ حظ القدح أخذوا جميعا تلك الأجزاء على ما اختار كل واحد منهم لنفسه ، فما معنى إجالة القداح ؟ وأين الفوز والغرم ؟ ومن القامر والمقمور ؟ »

عدد الأيسار

والأيسار : المتقامرون ، واحدهم « يسر » بالتحريك

وكان الحد الأقصى للأيسار أن يكون سبعة ، على عدد قداح الميسر ، لا يتجاوز عددهم ذلك ، وليس لهم حد أدنى يقفون عنده . فإذا كان عددهم سبعة قالوا : قد توحدت القداح ، أى أخذ كل رجل قدحا ، وإنما يكون ذلك فى المجاعات الشديدة وغلاء اللحم ، فيحتاج الأمر فى التكافل إلى هذا العدد الـكبير

(٩) الوركان ما فوق الفخذين كالـكتفين فوق العضدين

(١٠) الميسر والقداح ١٢٠ . وانظر أيضا تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٥)

وإذا نقص عدد الأيسار عن السبعة فلا بد أن ينبرى واحد منهم أو أكثر ويأخذ أكثر من قدح واحد ويتأهب للمغامرة ، ويسمون ذلك الآخذ « متمم الأيسار » . وهم يعدون ذلك التتميم مفخرة وفضيلة . قال النابغة :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما [١١]

قداح الميسر

١ — يقال للواحد من قداح الميسر قدح ، بالـكسر ، وسهم وزلم ، وقلم . وأكثرها استعمالا فى ذلك هو « القدح »

٢ — والقداح : عيدان تتخذ من النبع ، وهو شجر تصنع منه القسى والسهام ، ينبت فى قلة الجبل ، معروف بالمتانة واللين

٣ — تنحت هذه العيدان وتملس وتجعل سواء فى الطول ، وإنما تختلف فى العلامات والوسوم

٤ — وهى صغيرة القدر ، قال ابن قتيبة : « وتسميتهم لها بالحظاء دليل على أنها كصغار النبل »

٥ — ولهذه القداح رأس صغير ، قال ابن قتيبة : « ووجدت الشعر يدل على أن له رأسا أحسبه ناقصا عن مقدار جسمه ، حديد الطرف » ، واستشهد لذلك بقول الراعى :

بدا عائدا صملا ينوء بصدره إلى الفوز من كف الفيض المورب

والصمل : الصغير الرأس ، ولذلك قيل للظليم ، وهو الذكر من النعام : « وصمل » ، لدقة رأسه

٦ — ولونه أصفر ، لأنه من نبع وماشاكله ، ولأنه أيضا قد يقدم فيصفر كما تصفر القوس العتيقة

٧ — ويصفونه بالاعوجاج والأود ، دلالة على كرم عوده ولينه

٨ — وكثيرا ما يكون ذا سفاسق ، أى طرائق وخطوطا مستقيمة أو منحنية تكون فى لون العود ، كما تكون فى الخلنج دأعواد السروج وأشباه ذلك

٩ — وهو مدور أملس كالسهم

١٠ — ويصفونه بالحنين والرنين إذا ضرب به ، وذلك لرزانته وسلامة عوده من القوادح والسوس ، فإذا ضرب به حن

(١١) هذا صواب انشاد البيت بفتح همزة « أنى » ، ومن رواه بكسرها فقد أخطأ الصواب . وذلك لأن قبله كما فى ديوان النابغة ٧ :

يفيئك ذو عرضهم عنى وعالمهم وليس جاهل شئ مثل من علما

ورن كما يطن الصفر والحديد

هـذا ما أمكن الإمام ابن قتيبة أن يستخرجه من الشعر العربى لينقل إلينا ذلك الوصف الدقيق لقداح الميسر

عدد القداح وأسماؤها

هذه القداح التى مضى وصفها فى الفصل السابق ليست كلها على نمط واحد ، بل هى نوعان :

النوع الأول : القداح ذوات الحظ ، وعددها سبعة ، وهذا العدد يقابل الحد الأقصى لعدد المتقامرين

النوع الثانى : القداح التى لا حظ لها ، وعددها ثلاثة

قداح الحظ

١ — الفذ ، وله حظ واحد
٢ — التوأم ، وله حظان اثنان
٣ — الرقيب ، وله ثلاثة حظوظ
٤ — الحلس ، وله أربعة حظوظ
٥ — النافس ، وله خمسة حظوظ
٦ — المسبل ، ويسمى أيضاً المصفح ، وله ستة حظوظ
٧ — المعلى ، وله سبعة حظوظ

وهذه السهام السبعة متشابهة الأجسام ، لا يمتاز بعضها عن بعض إلا بعدد الفروض ، أى الحزوز التى تحز فيها لتبين قدرها . فللفذ حز واحد ، وللتوأم حزان اثنان ، وللرقيب ثلاثة .. وهكذا

وربما كانت هذه العلامات بالنار ، يسمونها بالوسم والوسمين والوسوم ، بدلا من تلك الحزوز [١٢]

وقد نظم أبو الحسن على بن محمد الهمدانى أسماء سهام الحظ فى قوله [١٣] :

يلى الفذ منهـا توأم ثم بعده رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبلها ثم المعلى فهـذه الـ سهام التى دارت عليها المجالس

وأنشد الراغب الأصفهانى [١٤] أبياتا نسبها لعروة بن الورد ، يذكر فيها أسماء القداح الفائزة ، وأراها من مصنوع الشعر ومولده ، وهى :

أتت بالمعلى عند أول سـورة وبالمسبل التالى وبالحلس والتوم [١٥]
وجاءت بفذ والضريب يليهمـا وبالنافس المعلوب فى الرأس والقدم [١٦]
فراح بها غنم وتغرم ما جنت وقد يغرم المرء الكريم إذا اجترم
وأنت منيح باليدين متى تعد تعد صاغراً لا مال نال ولا غرم

وهذه الأبيات المهلهلة لم ترد فى ديوان عروة ، وليست من شعره بسبب ، وهى أشـبه ما يكون بشعر ابن مالك فى ألفية النحو ، أو بشعر أبى الحسن على بن محمد الهمدانى الذى سبق الإنشاد له ، كما أن ما فيها من الخطأ الفنى ينطق ببطلان نسبتها إليه ، فإن هذه القداح لا يمكن أن تخرج جميعا فى ميسر واحد ، كما سيأتى القول عن الـكلام على (مجلس الميسر)

وكان العرب فى بعض الأحايين يستعيرون قدحا ميمونا ، أى قدح كان من السبعة ذوات الحظوظ ، قد جرب من قبل فوجد سريع الخروج فى الميسر ، يستعيرونه من غيرهم ويجعلـونه فى قداحهم بدلا من آخر مثله ، تيمنا به وبما يجلبه من الظفر ، ويسمون ذلك القدح « المنيح [١٧] » ، وهو غير المنيح الذى سيأتى ذكره فى القداح التى لا حظ لها

وكانوا يأخذون من هذه القداح على قدر احتمالهم ، فأقلهم حالا هو آخذ « الفذ » ، لأنه إن ربح غنم حظا واحدا وإن خاب غرم حظا ، ويليه فى القدرة آخذ « التوأم » ، إن فاز فاز بحظين ، وإن خاب غرم حظين ، وأقدرهم وأعـلاهم شرفا هو صاحب « المعلى » لأنه إن خاب غرم سبعة حظوظ فاحتملها

القداح التى لا حظ لها

وهناك قداح لا حظ لها ، وهى بحجم قداح الحظ ، ولـكنها مجردة من السمات والعلامات ، تجعل مع قداح الحظ ليـكثر بها العدد ، ولتؤمن بها حيلة الضارب فتختلط عليه فلا يجد إلى الميل

(١٢) الميسر والقداح ٧٠
(١٣) بلوغ الأرب (٣ : ٥٨)
(١٤) محاضرات الراغب (١ : ٢٤٤)
(١٥) أراد « التوأم » . وهو القدح الثانى من قداح الميسر
(١٦) المعلوب : الذى به العلب . وهو الحز وأثر الضرب . والجمع علوب
(١٧) الميسر والقداح

العزوف عن القراءة

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

ســألني « متألم » على صفحات الرسالة ، فقال إنه مدرس أديب يتذوق القراءة ، ويهوى الاطلاع ، ولـكنه أصيب منذ عام بداء يقطع عليه سبيل هـذه اللذة العقلية ، وهو « النوم » حين يشرع فى مطالعة كتاب أو صحيفة

مع أحد سبيلا ، وليـكون ذلك أنفى للتهمة وأبعد من المحاباة[18] وتسمى هذه القداح «الأغفال» : جمع غفل ، بالضم ، وأصله فى الدواب مالا سمة له ، ومن الأرضين مالا علم فيها

وهذه القداح ثلاثة فى أصح الأقوال :

١ — الوغـد

٢ — السفيح

٣ — المنيح

وقد نظم أسماءها بعضهم فى قوله[19] :

لى فى الدنيا سـهام ليس فيهن ربيح
وأساميهن وغـد وسـفيح ومنيح

وقيل : وهذا قول شاذ — : إن عددها أربعة[20] :

١ — المصدر

٢ — المضعف

٣ — المنيح

٤ — السفيح

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارون

(١٨) قال ابن قتيبة تعليقا على هـذا : « وبلغنى أن المقامرين بالنرد إذا أحسوا من الرجل إماء الفص على الوجه الذى يريده بالرفق — وهو ما يسمى فى عصرنا هذا فى مصر بالغرس — أتوا مع الفصين فصا ثالثا أو فصين ليس عليها رقوم . أو حصيات . ليأمنوا الحيلة » فلأمر ما اتخذ العرب هذه القداح مع قداح الحظ

(١٩) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٢٠) تفسير أبي حيان (٢ : ١٥٤)

وقد فرحت بهذا السؤال ، لأنى وجدت شخصا يحب القراءة ويجد فى الاطلاع لذة ، وقد طال العهد — فى الزمن السابق — بمن كانوا يلتمسون اللذة فى المتع الرخيصة المبتذلة . ومقياس رقى الأمم أخذ أهلهـا بالأدب الرفيع ، والإقبال على ارتشاف العلم ، ودوام النظر فى صفحات الـكتب ، والاستماع إلى حلقات الدرس والمحاضرة ، ممـا لم يكن معهودا فى العهد السابق ، أو مألوفا فى سياسة الملك السابق ، بل كان العهد عهد إسفاف ، تنتشر فيـه الخلاعة والتهتك ، ويقبل الناس مع ملكهم على الإثم والفجور

وآية ذلك هذه الصحافة الصفراء التى كان همها أن تطلع على القراء بالسيرة المفضوحة ، وأخبار « الطبقة الراقية » فى حلبات الرقص وميادين السباق وموائد اليسر وعلى شواطئ البحار ، مع عرض صورهن فى ثياب تـكشف عن الفتنة وتبتعد عن الحشمة . وأصبحت عناية الصحف والمجلات نشر الصور للممثـلات وهن شبه عاريات ، وتسابقت جميعا فى هذا المضمار تنشد اجتذاب الشباب بالفتنة ، واستهواء الشيوخ بالخلاعة ، وتوجيه العواطف وجهة دنيئة ، والتلاعب بالغرائز الجنسية تبعثها وتثيرها من مكامنها . فأصبح القارئ العفيف كأنه راهب انقطع فى الصحراء ، أو سابح ضد تيار الماء

وكان التيـار جارفا يحمل المجتمع نحـو الأغلال والفساد ، ويبتعد به عن الجد والوقار . فإذا أخذ أحدنا بسبيل الجد والمثالية شعر كأنه غريب عن المجتمع الذى يعيش فيـه . ولعل عزوف « المتألم » عن القراءة راجع إلى شعوره بالانفصال عن الجماعـة حين يقبل على القراءة والاطلاع

قد يقول قائل : ولـكن صاحب السؤال يحتاط للأمر ويقرر أنه يهوى القراءة ويتمناها ويرغب فيها ، فـكيف تزعم أنه غير راغب فيها ، وأن ميله إلى النوم دليل على صدوفه عنها ؟

ونقول فى الجواب عن هذا الاعتراض إن النفس الإنسانية أمرها شديد العجب ، فهى تبدى خلاف ما تبطن ، وتصدر عنها أفعال تباين ما يشعر به صاحبها . فهل نصدق الأعمال ونـكذب الشاعر ، أو نصدق المشاعر ونـكذب الأعمال ؟

واعلم أن اتجاه المحدثين فى علم النفس هو الأخذ « بالسلوك »

والأعمال الظاهرة ، وليس لهم شأن بما يجرى داخل النفس من ظواهر شعورية . وهناك مدرسة كبيرة على رأسها الأمريكان ، ويتبعها بعض العلماء فى أوربا ، تبحث فى علم النفس بغير الشعور . ونحن إلى هذا الاتجاه أميل ، فنقدم العمل ولا نقبل الشعور ، ونصدق السلوك ونفسر به النزعات الباطنة

وعلى هذا الأساس يسهل علينا تفسير هذه الظاهرة التى يذكرها صاحبنا ، فهو يمسك بالكتاب ولا يكاد يقرأ منه بضع صفحات حتى تأخذه سنة من النوم . هذا هو الواقع الشاهد الذى لا سبيل إلى إنكاره . فما العلة فى ذلك ؟

وسوف نبين العلة الصحيحة بعد أن نستبعد ما يذكره عن مشاعره الباطنة ، من أنه يتمتع بما يقرأ تمتعا زائدا . فهذا الشعور غير صادق ، بل هو تمويه من النفس . فلا يستقيم أن تكون المتعة حقيقية ثم ينصرف عنها نائما ، بل العكس هو الصحيح

والنوم عند القراءة دليل لا يخطئ على عدم الرغبة فيها . وقد يعبر الإنسان تعبيرا آخر يفصح عن هذا الصدوف ، كأن ينسى الموضع الذى ترك فيه الكتاب ، أو ينسى اسمه وموضوعه ، أو يجد فى عينيه تعبا ، وقد يصاب أحدنا بظهور « الذبابة الطائرة » وهى نقطة سوداء تعاكس الرؤيا ، وهذا إنذار بالتعب من القراءة ، وفى بعض الأحيان يصاب الشخص بعمى تام ، فلا يبصر شيئا ، لا لعلة فى العين ، بل لشدة الإجهاد العقلى فى القراءة والرغبة اللاشعورية فى الابتعاد عنها

الحق أن القراءة ليست شيئا فى طبيعة البشر ، فقد ركب الله العين فى الإنسان ليبصر بها الأشياء الخارجية فيعرفها فى المناظر من جمال هو الذى يبعث المتعة فى جوانب النفس

والأصل فى التفاهم بين الناس السمع لا البصر ، ولذلك قيل الإنسان حيوان ناطق . فالألفاظ التى يتألف منها الكلام تنتقل من الفم إلى الأذن ، ويتم عند ذلك الإدراك ويحصل العلم . حتى إذا أخذ الإنسان يتحضر عرف التدوين والكتابة ، وسجل الألفاظ المنطوقة فى رموز مكتوبة رسمها رسما . واتسعت الكتابة مع الرق ، وكثرت الكتب ، وأصبحت مرجع الناس فى تحصيل العلوم ، مع أن الأصل أن يستمد المرء العلم سماعا ويتلقاه من أفواه العلماء . ولعلك عندئذ تعلم لماذا امتنع سقراط عن التدوين ، ولماذا كان يلقى دروسه إلقاء

الكتب — وقاك الله شرها — فيها منافع وفيها مضار . فمن منافعها أنها تلخص لك أفكار العلماء الذين أفنوا أعمارهم فى بلوغها فى حيز ضيق ، تستطيع أن تحصله فى ساعات قليلة . ومن منافعها أن العلم ينتقل إليك فى دارك فتطلع على آرائه وأنت مضطجع ، بدلا من شد الرحال إليه . ومن منافعها أنها صديق تأنس إليه وقت الشدة فيفرج همك ويسرى عنك ويبعث فى نفسك المتعة حتى إذا سئمته ألقيته جانبا

ومن مضارها أنها كالجثة الهامدة لا حياة فيها ، لأن حياة الأفكار فى حياة قائلها ، ولذلك كان الاستماع إلى حديث العالم أمتع للنفس وأرسخ فى الذهن

ومن مضارها الذهاب بقوة البصر ، لأن التحديق فى الحروف السوداء المكتوبة ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، وعاما بعد عام ، يجهد العين ويضعفها

وكل قارئ تمر به فترات من الضيق فيسأم الاطلاع فى وجوه الكتب ، ويصدف عنها ، ولا علاج لذلك إلا تركها مدة من الزمن ، والترويح عن النفس بقراءة « كتاب الطبيعة » . وهذا شئ قل أن يفعله القراء فى الشرق ، نعنى الخروج إلى الحدائق العامة والتأمل فى مباهج الطبيعة . وكان عادة أرسطو أن يلقى دروسه فى بستان وهو يجوس خلال مماشيه ، ولذلك سمى أتباعه بالمشائين

* * *

فلا تتألم أيها السائل لأنك تنام عند القراءة ، واسترح قليلا ، وخذ العلم من المجالس ومن أفواه العلماء ومن قراءة كتاب الطبيعة

أما النوم الذى تشكو منه ، فإن لم يكن لعلة جسمانية وضعف طارئ ، فهو رد فعل طبيعى لإرغام نفسك على ما لا تحب وتشتهى والابتعاد عن الأشياء غير المرغوب فيها يتخذ أشكالا مختلفة ، فشخص يلقى الكتاب من يده ، وآخر يمزقه ، وثالث يبيعه . أعرف ناسا كثيرين حين ضاقوا بالقراءة باعوا مكتباتهم التى اقتنوها على مر الزمان ، فلما ذهبت فترة السأم والملال ندموا على ما فعلوا

في افتتاح العام الدراسي

المعلم في عهد التحرير

للأستاذ محمد رجب البيومي

أشرق على مصر فجر جديد يبعث الضوء والأمل ، ويطرد الظلام واليأس ، وقد أحس كل مصري أنه بدأ يعيش لوطنه ونفسه ، بعد أن كان يعيش غريبا لغيره ، فأخذ يفكر في مهمته ، ويبحث عن خير مصر ، ويعمل على رفعتها بين الأمم بعد أن تمهدت الصعاب ، واستوى السبيل الواضح أمام السائرين

والمعلم ذو رسالة سامية في أمته ، فهو الذي يخط سطور المستقبل ، ويبني صرح الحياة ، إذ يتعهد النشء بالتربية والصقل والتقويم ، ويبعث في رجال الغد قوة عاتية تحطم الأغلال والسدود ، ويخلق فيهم يقظة واعية تتفهم الأمور وتدرك الأسباب ، وقد حرص على أن يقوم بمهمته الشاقة في دأب وكفاح ، دون أن تعوقه الدوافع والحوائل ، ليرضي ضميره المتيقظ في أحنائه ، ويقضي حياته مثلوج الصدر ، هانئ البال

وقد وفق المعلم في أداء رسالته إلى حد كبير ، ففي العهد الماضي حينما كان الظلام الدامس يرين على الآفاق في كل مكان ، فالصحف مكممة الأفواه ، لا تسطر غير ما يرضي الباطل ويغضب الحق ، والألسنة المخلصة معقولة حبيسة ، تحاول النطق فلا تستطيع ، والأحرار في كل ناحية يلاقون من البلاء والعنت ما يوهي العزائم ، ويفت في الأعضاء ، !! حينما كان ذلك كله ، كان المعلم يجد في ميدانه متسعا فسيحا لإيضاح الحق وإزهاق الباطل ، فهو يتحدث إلى تلاميذه كما يتحدث الوالد إلى أسرته ، كاشفا ما يرتكبه الآثمون من ضروب الخيانة والرشوة والطغيان ، وقد يضطر إلى التلميح حينا يخشى المغبة المخيفة ، ولكنه لا يني عن أداء رسالته المخلصة لوطنه وأمته ودينه ، لذلك كان التلاميذ في كل مدرسة من مدارس القطر أول من هتفوا بسقوط فاروق وهو في شوكته وسلطانه وجنده ، بل إنهم حاصروا قصوره ، وأسمعوه من السباب والتهكم ما أقض مضجعه ، وشرد النوم عن

وقد لا تنصرف الصورة في إبعاد القراءة إلى الكتاب ، بل إلى الشخص ، فيشعر بالفتور ، أو التثاؤب ، أو الرغبة في النوم ، أو ينام فعلا

ولكن الدخول في النوم يحتاج إلى تفسير آخر يضاف إلى العزوف الباطني اللاشعوري عند القراءة . ذلك أن كثيرا من الناس يعتادون القراءة وهم مستلقون على ظهورهم كأنهم نائمون ، ليكون الوضع بالنسبة إليهم مريحا ، وهذا الوضع بالذات يهيئ إلى النوم . ولذلك ينبغي على مثل هؤلاء إذا أرادوا التخلص من النوم أن يتخذوا لأنفسهم عادة أخرى وهي الجلوس في هيئة جادة ، ويحسن إلى جانب ذلك ألا يخلعوا الملابس الرسمية التي يخرجون فيها ، وألا يلبسوا ملابس البيت . هذا إلى أن النظر في حروف الكتاب مع وضع الرأس إلى الخلف في حالة أن يكون القارئ مضطجعا يتعب العين ويجهدها ، فيكون مثل هذا الشخص مثل الوسيط الذي ينوم تنويما مغناطيسيا فلابد من تغيير الهيئة

وفي بعض الأحيان لابد من تغيير المكان ، كالخروج من حجرة إلى أخرى ، أو الخروج من الدار إلى الحديقة ، أو الخروج من حديقة الدار إلى خارج البيت

وقد يعالج الإنسان نفسه بأن ينتقل من كتاب إلى آخر ، إذ من شأن النفس أن تسأم الطعام الواحد

وقد يكون الكتاب ثقيلا مملا يبعث كاتبه السأم إلى النفس؛ ومثل هذه الكتب إذا قسر المرء نفسه على قراءتها هي التي تجلب النوم

فعليك باختيار النوع من القراءات الذي لا يدفعك إلى النوم ، ولا تقبل على الاطلاع الشاق الجاد إلا حين تكون في يقظة تامة وصحة جيدة

أحمد فؤاد الأهواني

عينيه ، وبذلك أتيح للمعلم أن يخلق جيلا واعيا يعرف الخائن والمخلص، ويميز الطيب من الخبيث

ولقد اجتهد النفاق الآثم في تزييف الحقائق، وتشويه الوقائع، فامتلأت الكتب المدرسية بالثناء الكاذب على الأسرة العلوية ، وجعلت كل طاغية فاسق من أبنائها الفجرة ملاكا طاهرا ، يراقب ربه ، ويعمل جاهدا لرفعة وطنه ودينه ، وتعاونت معها الصحف والمجلات في رفعة أناس لا يستحقون غير الضعة والهوان ، فكانت الجرائد اليومية تظهر مكدسة بصورهم الضخمة ، ومتخمة بالأكاذيب الفاضحة تختلق اختلاقا ، عن مروءتهم وفضائلهم في كل ذكرى تمر ، أو مناسبة تحين ، أجل ! كانت الكتب المدرسية ، والصحافة الخادعة تقوم بمجهودها الفاشل في هذا المضمار ، والمعلم من وراء ذلك كله يقف بين تلاميذه ليدحض الأكاذيب المنمقة ، ويميط اللثام عن الحقائق الفاضحة ، حتى سطع الحق في الأذهان وضيئا لامعا ، وعرف كل مصرى تاريخ بلاده ، كما كان ، لا كما أريد له أن يكون ، وأمامك الثورة العرابية ، مثال صدق لما نقول ، فقد تواطأت الأقلام الآثمة ، على إبراز زعيمها المجاهد في صورة المتهور الجاهل ، الذي لا يقدر العواقب ، ولا يتبصر الأمور ، واجتهدت الصحافة المتملقة في إخفاء كل مقال يكشف وجه الحق في هذه الثورة الشعبية المجيدة ، فإذا حانت مناسبة ملحة للحديث عنها وجدت ضروبا بشعة من التلفيق والتضليل ، ورغم ذلك كله فقد استطاع المعلم أن ينشئ أجيالا متعاقبة تهيم بعرابي الخالد ، وترى فيه رمز البطولة والتضحية والإيمان ، وجاءت حركة الجيش المباركة فأتاحت لهذه العواطف المشبوبة نحوه أن تجد متنفسا على الأوراق ، وبين أمواج الأثير ، فانطلقت الأقلام في الصحف ، وانبعثت الأصوات في الإذاعة ، تهتف بذكرى عرابي الخالد ، وترتفع به إلى أوج البطولة والتقديس

لقد أدى المعلم واجبه في العهد البائد المنصرم ، وبقى عليه في عهد التحرر واجب شاق مرير ، فهو مطالب بأن ينشئ الأجيال القادمة على حب الحرية والعزة والاستقلال ، ومكلف بأن يحمى الأذهان الغضة مما يغيم في سمائها من الأباطيل ، إذ أن حركة الجيش المباركة تصطدم في وثوبها بمن يروجون الإشاعات المغرضة ، ويرجفون بالفتريات الخادعة ، فقد دأبت الرأسمالية الحاقدة على نشر السموم في كل مكان ، وانحاز إليها فريق من ذوى الأغراض الخبيثة كالمحتكرين من التجار ، والمطرودين عن مناصبهم اللامعة لما علق بهم من الشبه ، والمآثم ، وهؤلاء وأشباههم يتأوهون في مضاجعهم حسرة على ما انتهوا إليه من مذلة وهوان ، ويحاولون الثأر فلا يجدون غير الإشاعات والفتريات ، وإن من المؤسف اللاذع أن يجدوا آذانا تسمع ، ونفوسا تصدق ! ولو لم يكن ذلك ، ما استطاع إقطاعى آثم في مغاغة ، أن يقود شرذمة من الجهلة والرعاع ، ليعلن عصيانه وطغيانه على رؤوس الأشهاد ، وما اندفع عامل أبله في كفر الدوار إلى قيادة عصابة تحطم المصانع وتحرق المنسوجات ، ولو عقل هؤلاء الجهلة من الطغام لعلموا أن حركة الجيش لم تبعث من مرقدها إلا لتمهد لهم سبيل الكرامة والسعادة والثراء ، ومن هنا كان واجب المعلم خطيرا شاقا فهو مطالب — فوق واجبه التعليمي — بإزالة الشبه والفتريات ، ولن يقول قائل إنه يتدخل بذلك في السياسة ، وهي محظورة على التلاميذ ، إذ أن السياسة الحزبية التي تقوم على الأشخاص وتغفل المبادئ ، هي المحظورة الممنوعة ، أما السياسة القومية التي تسعى لخير الوطن واستقلاله ، فلن يستطيع عاقل أن يحرمها على الطلاب ، ولاسيا أن كل أسرة من أسر الوطن العزيزة تبعث بأفرادها إلى المدارس والمعاهد ، فإذا عرف التلميذ من معلمه وجه الحق فيما يدور على مسرح السياسة المصرية استطاع أن يقنع أهله وذويه بما يقوم به العهد الجديد من إصلاح ، فيقطع السبيل على الشائعات المغرضة ، ويأمن الوطن ما يهدده من الزلزلة والانشقاق

إن دراسة الأحداث الجارية من سياسية واجتماعية ، تأخذ نصيبها الأوفر في مدارس الغرب ومعاهده ، ولكنها لا تجد في مصر من ينظر إليها نظرة جدية ، بل يكتفى في بعض المدارس المصرية ، بكتابة موجز يومى لأهم الأنباء السياسية ، على سبورة توضع في الفناء ، وأكثر المدارس لا تلتفت إلى ذلك ، وتراه عبثا لا يفيد التلاميذ في شئ ! ! وهذا خطأ يجب أن يلتفت إليه ، فالأحداث السياسية هي التي تؤلف تاريخ الدولة ، ويترتب عليها مستقبل البلاد ، ولن تكون غير حلقات مشتبكة من سلسلة الحياة ، فالمدرس حين يوجه إليها اهتمامه إنما يبصر الأذهان بما

يمثل فى الوطن من أدوار . وقد يقول قائل إن اشتغال المعلم والطالب بالأحداث الجارية فى مجتمعه يحول دون أداء الرسالة الثقافية التى تضطلع بها المدرسة ، إذ أنها ستزاحم المواد الأخرى من رياضة وعلوم ولغات ، وقد تكون سببا فعالا فى هبوط المستوى العلمى هبوطا لا تحمد عقباه ، ونحن نقول إن دراسة الأحداث الجارية فى الدولة ، والعالم أيضا ، لا يكون بتخصيص أوقات خاصة تقتطع اقتطاعا ، من اليوم المدرسى للتلميذ، ولكن مدرسى المواد العلمية يقومون بهذا الواجب فى دروسهم المختلفة دون أن يشعر التلاميذ أنهم قد انتقلوا من موضوع لموضوع؛ فمدرس التعبير مثلا يستطيع أن يجعل مواضيعه الإنشائية تدور حول الإصلاحات الهامة التى تشغل الأذهان ، كتحديد الملكية الزراعية ، ومحاربة الغلاء وتعمير الصحراء ، وتأميم الطب ، وتشجيع الإنتاج القومى ، وإلغاء الرتب والألقاب ، وعلى المعلم أن يفسح لتلاميذه مجال النقاش بالحصة الشفوية فى جو من الحرية والإخلاص ، كما يستطيع أن يعقب على كل رأى بما يعن له من توجيه وتصحيح ، وبدراسة هذه الموضوعات الهامة يلم الطلاب بمشاكل مجتمعهم وأحداثه الهامة ، ويتقبلون ما يدور من الإصلاح بنفس راضية ، وصدر منشرح ، بل يصبحون من دعاته وحملة لوائه فى كل مكان

ولقد كنا فى العهد البائد ندرس التربية الوطنية دراسة مضحكة فنكتفى بالمذكرات الموجزة عن البرلمان والدستور والملك ومجالس القرى والمديريات ، تاركين للطلاب أن يستظهروا ما يدونونه من القشور الجافة دون أن يتشبعوا بالروح الديمقراطية الصحيحة التى يجب أن تغمر البلاد ، وكان من المؤسف أن يحفظ الطلاب فيما يحفظون أن الأمة مصدر السلطات ، ويرون بعد ذلك ما نعرفه من تزييف الانتخابات وتمزيق الدستور ، والعبث بالحريات ، كان ذلك فى العهد البائد ولكنه لن يكون فى عهد سطعت فيه أضواء الحرية ، وعرف كل مواطن حقوقه وواجباته ، وأصبح المعلم ملزما بدراسة التربية الوطنية دراسة تخلق النفوس ، وتمرض الواجبات ، وتقدس الحرية والعدل والمساواة ، وتجعل كل تلميذ يشعر بكرامته الإنسانية ، وينشد لوطنه الحرية والاستقلال

لقد لاحظ بعض الباحثين مايشيع لدى شبابنا المثقف من جهل بالأحداث الجارية ، خارجية وداخلية ، حتى أصبحنا نواجه مشكلة دقيقة ، اصطلح الكتاب على تسميتها بمشكلة « أمية المتعلمين » فأنت ترى الشاب الجامعى يحمل مؤهلا عاليا ، فتظنه يلم بما يلم به المثقف عادة من حوادث العالم وشؤونه فى وقت كثرت فيه الصحف وتنوعت الإذاعات ، ولكنك تناقشه فى أمر ذائع فلا تظفر بشئ مما فطن ، فترجع باللائمة على الدراسة الجافة التى عكف عليها ، فى مدرسته وجامعته ، ونحن لا نريد أن نستمر على هذا النهج المعوج فننشئ شبابا غلف العقول والقلوب ، بل لا بد أن نعيد دراسة المناهج من جديد ، فنضم إلى كل مادة مايخلع عليها الجدة والطرافة ويجرى فى شرايينها دماء الحياة ، نريد أن نبتعد عن التوافه الحقيرة التى لا تفيد الطالب فى شئ غير ازدحام الذاكرة بكل مشوه بال ، نريد أن نبعد عن التاريخ أرقام الميلاد والوفاة لبعض الإمعات من السلاطين والوزراء ، نريد أن ندرس الوثبات الاجتماعية والسياسية للشعوب وننفل مآكل الملوك ، وهدايا الأفراد ، وتحف الخلفاء ، نريد أن تبتعد عن الشكلية الضيقة فى تدريس الجغرافيا التقليدية ، فلا نقف بها عند الحاصلات والمناخ والتضاريس ، بل ننتهز مايجد من الأحداث الخارجية ، فنكشف عن أسبابها ثم نتطرق إلى الدولة التى كانت مسرحا لهذه الحوادث ، فنتحدث عن مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وفى ذلك من التشويق مايبعث الرغبة ويولد الاهتمام ، ولن يقف المنهج الرسمى عقبة معترضة ، إذ لا يتعذر على الوزارة إيجاد منهج مرن يدرس الدول الهامة ذوات السيطرة والتأثير فى شتى البقاع

إن المعلم يستقبل مع تلاميذه عهدا نظيفا طاهرا ، ترفرف عليه ألوية الحرية والعدالة والمساواة ، فعليه أن يبذل جهده الجهيد فى إنارة الأذهان ، وتقويم النفوس ، والتشبع بمبادئ الأخلاق ، وبذلك يخلع عن وطنه نير العبودية والهوان ، ويحقق رسالة مصر الخالدة فى موكب الحضارة والعمران

(أبو تيج) **محمود رجب البيومي**

٣٩٠٣٨

سليمان العيسى
في ديوانه «مع الفجر»

للأستاذ أحمد الفخري

خلني أصهر الحياة نشيداً وأذيب الوجود في إيماني
ربما مزقت أناشيدي الحمـ راء بعض القيود عن أوطاني
أنا لو أستطيع أرسلت أنفا سي شواظاً من مارج ودخان

أهكذا تنصرم الأيام كاللمحة الخاطفة ؟ أحقاً تسع سنين قد مضت على لقائنا الأول ؟ تالله لكأن ذلك كان بالأمس.. ولئن استطاع أن يفرق الزمان شملنا فهو أعجز من أن يهزم الذكريات .. ذكريات تلك اللحظات الخالدات .. وهل هن من حلم الحياة إلا يقظة العمر !

يا لحظة النشوان لا تعبري ما أنت إلا عمرى السرمدى

* * *

في صالة الاستراحة في دار المعلمين العالية ببغداد كانت عيون الطلاب منجذبة إلى فتى جالس وحده ، كانوا يحدقون النظر به ثم يتهامسون فيما بينهم حتى رابنى أمره ، فسألتهم ماشأنه ؟ فقالوا — وملؤهم الإعجاب — هذا فتى نابغة من لاجى (الإسكندرونة) رحمها الله ، وهو شاعر جبار ، فزاد اهتمامى به ، وتأملته فإذا شاب هزيل الجسم ، كليل البصر ، يضع على عينيه منظاراً لا يلائم شبابه النضر . ونظرت إلى عينيه فبدتا أول وهلة زجاجتين زرقاوين خابيتين لا تعرفان الاستقرار ، فلما أنعمت النظر لمحت من ورائهما بريقاً عميقاً لم تستطع النظارة ولا قصر النظر إطفاءه

ذلكم هو سليمان العيسى شاعر الشباب الرقيق وشاعر الفتوة العربية بحق ، ذلكم سليمان الذى صهرته عواطفه وأذابته مآسى هذا الوطن المتلاحقة ، سليمان الذى يقول :

ألقيت في الإعصار روحى وسقيت من قلبى جروحى
أنا لست أغنيـة الهوى بل صرخـة الأمل الذبيح

والذى يقول :

أنا لو أننى خلقت جماداً كنت أولى قذائف البركان

وبعد فعسير على أيها القارئ العزيز أن أنقد شعر سليمان نقداً علمياً منظماً لأنى لا أستطيع أن أجرد حديثى من عاطفتى وأى عاطفة هى ! لقد مزجتنا الآلام ووحدت سيرنا الآمال وعشنا بضع سنين نحيا حياة واحدة تحمل فى صميمها من حاضرنا شكوى مشتركة وتطل بنا على المستقبل من منظار واحد

ومجمل ما يجب ذكره أن أقول إنابتنا تحت الأقوال ونود لو بالأعمال اعتضنا عنها أو كما يقول سليمان فى مقدمة ديوانه (مازلت أوثر أن أحيا على أن أسجل) فكانت حياته شعراً وكان شعره هذه الحياة الفنية الفتية الغنية بحب الوطنين (القلب) وطننا الأصغر (والأمة العربية) وطننا الأكبر ، وهو لا يرى الأول إلا صورة مصغرة من الثانى ، وهى ممهدة له ومغذية .. ولهذا فأنت لا تفتأ تجد فى ديوانه انتقالا رائعاً من الغزل إلى الحماسة ، تفسره لك هذه العقيدة النبيلة ، اسمعه يقول فى موشحه (لمن أذوب ألحانى) :

لو كنت حراً لأسكرت الوجود على
أنغام حبى ... وأفنيت الصبا قبلا ...
أأستمع الحسن ، بل أستغفر النزلا
ماذا ؟ أأرقص فوق النعش قد حملا
جثمان شعبى فيه ، ضاحكاً ، جذلا ؟
أأستحيل كنيرى نحوه خشبا ؟
وأسخط الله ، والتاريخ ، والعربا !

* * *

لى من هواك .. جناح سوف أقتحم
برج النضال به ، والهول يحتدم ...
هذى (القيود) التى حولى ستنحطم
لا قدس للحب فى أرضى ولا حرم
ما ثقلت فوقها (مستعمراً) قدم ..
قولى لمن تنكر (الذوبان) ما ارتكبا ..
هل تأمن النمر المطعون أن يثبا ؟

* * *

وبعد أن يقول من موشحه (جنة الفن) فى أسمهان :

يؤثر الفن لو نسينا (المكانا)
واختصرنا ... بقبلتين (الزمانا)
ما وهبنا الشباب ؛ والعنفوانا
لندارى جراحنا ، وأسانا
لن ترانى يا قلب أشكو سنانا
خضبته كف الهوى بوريدى
لن يرانى اللهيب غير وقود ...

اسمعه بعد ذلك يقول :

حرقة أنت فى فؤاد الفناء
أن تنأى عن الكؤوس الظماء
قبل أن تشهدى مع الصحراء
يوم عرس الحرية الزهراء
قبل أن تصدحى بلحن (الجلاء)
وتهزى به رفات الجدود
يوم تمشى على حطام القيود

***

وليس أصدق فى تمثيل فكرته هذه وشدة تعلقه بها واعتزازه ن وصيته فى نشيده لشبله (معن) ، وهل أشد إخلاصا من صيحة الكبد بضعة منها ؟

وعدا . .. إذا عبق الجما | ل ورفت الغيد الحسان !
وتموجت شعل الشبا | ب وصاح فيها العنفوان
ولويت أعطاف الحنيـ | ن فطار من يدك العنان
فاشرب على نخب (الحيا | ة) فإن ظامئها جبان
وأحب ملء الروح منـ | طلقا . . وللحذر الهوان

***

وإذا تفجرت الحقود . . | وزمجر البلد المهان
ورأيت أرضك ها هنا | (ناب) وثمة (أفعوان)
وتكلم الأحرار فالآفا | ق نار أو دخان
فاخضب طريقك باللهيـ | ب وأنت فى يده سنان

***

ذلكم سليمان : قلب ناضر ملؤه الحب والجمال ، وشباب ثائر تتقاذفه الآلام والآمال ، فهو بين يأس (أو شبه يأس) لولا جلال التاريخ ووقدة العزيمة لذهب بالأمل ، وأمل لولا عزة الماضى وعمق جذوره لخبت جذوته واستحال رمادا ، وروح قرارته خضم مائج لا يستقر ، وكيف يستقر وفتوة الشباب تذكيه ونكبات الضاد تمر به إعصاراً أهوج !

وهو من بعد إن سار سددت خطاه حماسة الشباب وحرارة الحياة، وهو إن تكلم نطق الحب ، حب تلكم الحياة الفتية المتدفقة المتألقة فى كلامه، فما الحياة وما الحب إلا للوطنين القلب والضاد، وحسبه فى هذين الغرضين — وقد أسراه — أن يتنقل بين أفنان لا حدود لرياضها ، وأن يضرب فى لج لا ساحل لعبابه : الحب والبطولة — يا أخى القارئ — وقد أهدى إليهما ديوانه لأنه استوحاه منهما — الحب والبطولة حسب الشباب شبابا فهما الحياة بأجل وأوسع وأقوى معانيها ؛ وهل الفن إلا تعبير حساس عن الحياة ؟

(لمحة هزت نشيدى فانطلق — رعشة حيناً وحيناً زلزله)

والحياة الخالدة هى أمنية كل حى فان وفقدانها سر شقاء الخيام.. ولكن سليمان خلد نفسه فى خالدين . . وهل أروع من أن يخلد الإنسان ذاته فى وطنه الصغير (القلب) وفى وطنه الأكبر (أمته) ؟ وهل أحر لوعة من أن يشكو الإنسان مصيبته فى أحدهما إلى الآخر ؟

عروس الشعر .... ما انفسح الخيال
على دنيا ... هى السحر الحلال
ولا نديت على الظمأ الرمال
ولا غنى فم . . . لولا الجمال
قصيد الكون أنت . . . وما إخال
ربابا فى عيون الآلهات
يصاغ بها لرقته مثال
عروس الشعر معذرة القصيد
إذا ما جن فى وترى نشيدى
تمرد أن ينام ... على (القيود)

فراح يهز أجفان « العبيد »
ليفتحها على ذل السجود ...
فإذ شعبي موات فى موات
وإذ وطني : همود فى همود

وهو فى هذين المضمارين قد أرضى جميع نقاد الفن وإن لم يتعمد ذلك لأنه لم ينصت إلا إلى أوتار قلبه ، أرضى فى حبه أرباب الفن للفن كما أرضى معارضيهم فى سمو توجيهه (وحرية) أوتاره

أنا ما نظمت الشعر بل ذوبت رنات القيود
وعصفت. إذهتف الهوى. ناراً على شفة الجليد

***

فأما الحب ، وأما دفقات الشباب ؛ وأما خفقات الفؤاد ، فما أعرف شابا أديبا مثل سليمان أحسن بجواهن فسحر ، وغنى بألحانهن فأطرب وأسكر ، وهل الحياة إلا الحب ؟

هى الدنيا ، وهل فيها — إذا لم تهو — ما يسبى
إذا رضى الغرام عليك فامن جانب الرب

***

وهل عمر الشباب إلا :ر—

عمر الورد قصير ... فلندع
كل ما فى الروض يغرق فى المراح
ليس فى ثغر الأقاحى متسع
لسوى القبلة من ثغر الأقاح

وإن هذا الغناء ، وإن شابهت أنغامه أنغام الخيام إلا أنها أشد اتصالا بينبوع الحياة ، وليس وراء مرحها وإغراقها فى اللذة جرات يأس ، بل هى نقية صافية لأنها من معين الخلود :

علمتنى طرق السما • فجن شعرى بالسماء
وهتفت بى — والأرض تجذب ناظرى : — إلى العلاء
فهوت على قدمى ، خلف السحب ، أشباح الفناء
وإذا الخلود ... على فمى كأس تفجر بالغناء ...

***

لا تحذرى ... لم يحطمنا سوى الحذر
لا تحسبي غير لقيانا من العمر ...
ألقى بروحك فى أرجوحة القدر
وعانقيني على إطلالة القمر ...

***

أنقل على شرفات الخلد أقدامى
وأسكر الملأ الأعلى بأنغامى ...

***

لا تأسفى للدجى إما تربه فنى
فى تمتمات النشاوى مصرع الزمن
دعى هواجس هذا الكون فى كفن
يخلو لهن ذوو (الآراء) والفطن
واستنشديني فقد باتت تعذبني
أنشودة لم أتمها ولا عجبا
صدرى يضيق بألحانى وإن رحبا ..

إذن فلينهل من هذا الكوثر قبل أن يفقده ، وليمنع منه أحيانا ليشعر بألم الحرمان فما هذا الألم إلا صورة من اللذة الخالدة . .

أقفلت أنفاسى على جمرة لفاحة ... تلهب ما تلهب
ورحت أستعذب آلامها والألم الخلاق يستعذب

***

فى غد تخبو رؤانا الزاهيه لم لا نشعلها قبل الغد ؟
فى غد .. تمضى الأمانى الحاليه والأغانى بددا فى بدد

***

سنبسم للجراح على الجراح
ونسقيهن ألحان المراح
ويحملنا الشباب بلا جناح
إلى أحلامنا الخضر الفساح
إلى دنيا منضرة النواحى ...
هناك إذا افترشت النيرات
غفوت على أغاريدى وراحى

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى

شــلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٦ —

إننا نجد شلر فى تصادمه مع مواطنيه المثل الأعلى فى سمو الخلق، وهذا السمو هو الرابطة الوحيدة التى كانت تشده بمجتمع زمانه، وقد أظهر كل النبل مع أعدائه وأصدقائه على حد سواء. على أنه لم يدخل قط فى مجادلات وترهات عصره. وبالرغم من مشاهدته وأسفه على إسفاف الأدب فى زمنه لم يشهد حربا مكشوفة عليه، وإنما نراه يلمح إلى ذلك عن بعد كما هى الحال فى كتابات (ملتون) ولذا نراه لا يتطرق إلا إلى أسماء عدد قليل من معاصريه، لأنه لم يقصد الناس فى هجومه وإنما كان يقصد الأفكار المعوجة والآراء الفجة. وفى كتابه (دراسة عن برغر) — هذا الكتاب الذى أسهب الناس فى الحديث عنه وعلقوا عليه شتى التعليقات، والذى أنزل أشد الضربات فى الشاعر المسكين (برغر). إلا أن شلر لم يقصد منه إثارة أى عداء ضد برغر — بل على العكس حاول أن يظهر فيه احترامه لفن الشاعر وتجربة لفهمه، لأنه لم يعن بالمنازعة مع برغر أو أى شخص آخر كما لم يقصد إلى كسب رضا الجمهور، وقد كان حائزا عليه بدرجة عالية لأنه لم يقدر هذا الرضا. وقد قال فى هذا المعنى فى فقرة جليلة يعرفها القراء الإنجليز « إن الفنان فى الحقيقة هو ابن عصره، ولكن وا رحمتاه له إن هو أصبح تلميذ هذا الفكر، فخير له لو اختطفته يد إحدى الآلهة وهو لا يزال رضيعا من حضن أمه لتربيه فى عصر آخر أحسن فيشب ويبلغ مبلغ الرجال تحت سماء الإغريق القصية، وحالما يدرك هذا المبلغ فله أن يرجع إلى بلاده غريبا فى سيمائه ليس ليسرها بوجوده، بل ليطهرها كأحد أبناء أغاممنون الرعبين ». وعلى كل، فشلر لم يكن عنده أثر من آثار الغرور أو حتى الكبرياء، لأن شعوره الذاتى المتواضع كان أهم ميزة من ميزات عبقريته التى كانت ضمنية غير ظاهرة عليه، فلم يكن للمقت أو للتعصب محل فى نفسه اللهم إلا ضد الخرافات والإسفاف، وعنده تصبح الكراهية شيئا مقدسا، كما أن الزهو الماتى لم يكن له أثر فى نظرته، أما تجهمه فكان يشبه تجهم أبولو الذى كان يقضى على الأفعى بنظرة واحدة من نظراته [١]. وبكلمة أخرى يمكننا أن نقول فى شلر ما نقوله فى أفراد قلائل من أى قطر كان: لقد كان خادما من خدام معبد الحق وقد قام بمثل هذا الواجب خير قيام، ولكن هذا ذكرى لنا على الدوام فى عصرنا هذا، وهذه الذكرى وحدها كافية للاشادة به. ولقد اتفق سلوك شلر العقلى مع سلوكه الأخلاقى اتفاقا دائما؛ فكان بسيطا فى عظمة، ساميا فى عدم تكبر، تقيا فى عدم إسفاف، غيورا فى عدم حسد. وكانت الحساسية النبيلة والمشاركة المخلصة مع الطبيعة فى جميع تقلباتها تنعشه وتبعث فيه ميت الرجاء؛ إلا أن ذلك لم يكن مدعما بقابلية إبداعية. ولكن الطبيعة بما فيها من معنى وجمال كانت محدودة بصور قليلة لدى بصيرته، وكان اهتمامه يتركز فى نوع خاص من الصور، هى أقرب إلى العاطفة القاسية الشجية، وهذا ما كان عكنه أن يمثله خير تمثيل كشاعر وكمفكر. ويمكننا أن نقول: إن موسيقاه كانت موسيقى سماوية حقة، ولكن فى نغمات رتيبة غير متنوعة وفى إيقاع بسيط، ولكن الانسجام فى الترتيل مفقود فيها. ولا نكران بأن شلر فى أيامه الأخيرة، على الأقل، أدرك أسلوبا شعريا باهرا صافيا فى المجالى الخالدة من الفن، ولكن هذه الموهبة ظلت جزئية، لأنها كانت نتاجا لبعض قابلياته المكدودة أكثر من كونها نتاجا ذاتيا لطبيعته الكلية، فعلى قمة المحرقة يوجد لهيب أبيض ولكن المواد ليست كلها ملتهبة إذا لم نقل غير مشتعلة. لا بل يظهر لنا أن الشعر إجمالا لم يكن موهبته الرئيسة، كأن عبقريته كانت منهمكة فى التأملات الفلسفية والبيانية أكثر من الشعر. وإلى النهاية كانت هنالك خشونة فيه مما جعل عدم انصهاره فى بودقة الشعر أمرا لا مفر منه. وهكذا لم تكن عبقريته قيثارة (يولية) تعزف عليها الرياح كما تشاء لتصنع لحنا حرا، بل آلة موسيقية علمية إذا ما عزفت عزفا فنيا أنتجت نغمات بديعة ولو بصورة محدودة. ومن المحتمل أن جزءا يسيرا من مواهبه انكشف لنا، لأننا يجب أن نعلم بأنه لم

(١) حياة شلر

يحظ بما حظى به إلا بعد جهد جهيد وتعب شديد ، وأنه استدعى إلى العالم الآخر وهو لما يبلغ منتصف العمر . وعلى كل حال ، فنحن على قدر ما نجد فيه من المواهب مجبرون على الاعتراف بأن أعم هذه المواهب كان هذا الإدراك العميق الدقيق الذى نجده فى كل مؤلفاته . لقد كان لديه خيال ذهنى واسع الأفق وقابلية فلسفية إدراكية عميقة ، ومع ذلك فإن البساطة وعدم الشمول ظاهران فى كل هذا

وكان شلر ينظر إلى الأعالى بدلا من أن يحدق فيما حوله . وكان يهتم اهتماما خاصا بالأمور الفلسفية البعيدة والتأملات الفنية وقيمة الإنسان ومصيره . ولم يعن بمصالح الإنسان وأعماله الآنية . ومع ذلك فهذه الأخيرة — كما تظهر لنا — ذات قيمة لا محدودة ، لأن أبسط مظهر من مظاهر الطبيعة ، وخصوصا الطبيعة الحية ، ما هو إلا نموذج ومطلع (٢) من مطالع الروح غير المرئية التى تعمل فى الطبيعة . وليس من شئ تافه فى الكون ، بل إن أصغر شئ يمكن أن يعتبر نافذة للنظر من خلالها إلى اللامحدود . ولم ينظر شلر كمفكر وكشاعر أكثر من نظرة عابرة إلى مثل هذه الأشياء ، سواء كان ذلك فى مناقشته أو فى عرضه للطبيعة وتصويره لها . فالشئ العادى ظل عاديا بالنسبة إليه ، وإذا نظر إليه نظرة مثالية فذلك بصورة ميكانيكية ليس للوحى فيها أى مكان ، وليس عن طريق التطلع الفلسفى الشعرى ، هذا الطريق الذى يفتح مجاهل الجمال فى كل صفة من صفاته ، بل عن طريق استنتاج هذه الصفات بانتقاء ما هو وضاء بارز منها وترك الباقى تذروه الرياح

وفى هذا يختلف شلر اختلافا بينا عن الشعراء العظام وخصوصا عن معاصره العظيم جوته ، وهذه العظمة الفكرية — على ما هى عليه من قيمة وأهمية — عظمة بسيطة تسحر البصر لأول وهلة ولكنها لا تلبث أن تفقد الكثير من جلالها . فليس النظر إلى المجردات العلوية صعبا بمقدار الصعوبة التى نواجهها فى النظر بعطف إلى مشاكلنا الآنية ، والحكيم هو من يرشدنا ويساعدنا فى أمور حياتنا اليومية ، وقد يجوز أن يكون حكيما كذلك من يرشدنا للنظر إلى الحقائق القديمة نظرة أكاديمية شكلية ، ولكننا نريد أن نرى الحكمة فى أشكالها المكشوفة البينة ، لأننا قد نجد فى الأمثال كثيرا من الحكمة الواقعية أكثر مما نجد فى النظم الفلسفية والمدارس الأدبية . فكتاباته البكرة وكل كتاباته تقريبا تمتاز بهذا الترف الأرستقراطى وهذا الزهو المجرد . فهو إما أن يكون تجريديا أو نظاميا فى تأملاته أو تراه متعلقا ببعض الأفكار المعترف بها ، غير عابئ بالنظر إلى ما يحيط به أو بالنظر إلى نهر الحياة المتعدد الألوان ، وإذا نظر إلى ذلك فمن خلال كوة ضيقة . ففلسفته فى التاريخ تستند على اعتبار كل الإنسان نتيجة من نتائج التنظيمات الاجتماعية والمؤسسات الدينية ، يستبين ذلك فى شعره ، فهو يدور فى نطاق الأمور القديمة المعروفة من أمثال جنون الحب ، والعظمة العاطفية ، والحماسة فى الدفاع عن الحرية وما شابه . نجد ذلك فى كتابه (دون كارلوس) ، هذا الكتاب الذى يمكن اعتباره مرحلة انتقال ونقطة تحول بين فترتين من حياته : البكرة والمتأخرة ، وفى هذا الكتاب نجد البطلة المحبوبة (بوزا) تظهر محلقة فى الأجواء ، معتلية صافية نقية وباردة وجافة كالمنارة البحرية . وقد عرف شلر نفسه بأن العظمة لا تكمن هنا . وبجهد لا كلل فيه ولا ملل تمكن شلر من التخفيف من غلواء تحليقه وتوسيع رقعة منطقته الأرضية بالهبوط إليها ، وقد حدث ذلك بنجاح منقطع النظير ، كما تشهد بذلك أشعاره وأكبر دليل على ذلك قصيدته (نشيد الأجراس) ، وهى قصيدة عظيمة بلغت مبلغ الإعجاز فى بلاغتها وفى عرضها . أما مأساته (وليم تيل) . وهى آخر مؤلفاته — فهى فى أسلوبها وروحها من أحسن ما كتب فى الدراما . أما قصوره الوحيد — كما قلنا سابقا — فهو عدم تنازله واختلاطه بالمجتمع ، ومما له علاقة وثقى بهذا القصور سببا ونتيجة ، هو فقدانه لروح المزح والملاطفة ، هذه الروح التى تعبر عن المشاعر العامة ، فينظمها الشعراء شعرا عذبا مستساغا ، فالشاعر المازح يرى الحياة العامة وحتى الوضيعة منها بمنظار المرح والحب ، لأن كل شئ موجود له سحره الخاص

يوسف عبد المسيح ثروت   للكلام صلة

(٢) مطلع اصطلاح صوفى وهو يعنى الانكشاف الروحى لإنسان مختار من قبل واجب الوجود

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

أودى (بعتبة[١]) و (الوليد[٢]) و (شيبة[٣]) … و (أمية[٤]) القدر الذى لا يبرح[٥]

وهوى (أبو جهل[٦]) و (نوفل[٧]) وارعوى … بعد اللجاج (الفاحش المتوقح)[٨]

لما رآى (النازى المظفر) رأسه … أهوى يكبر ساجدا ويسبح[٩]

فى جلده من رجز ربك آية … عجب تفسر للبيب وتشرح[١٠]

تلك السطور السود ضم كتابها … أبهى وأجل ما يرى المتصفح

إن لم يغيب فى جهنم بعدها … فلمن سواه فى جهنم يصرح ؟

أدركت حقك يا (بلال) فبوركت … يدك التى تركت (أمية) يشبح[١١]

واف المطار ووال يا (ابن رواحة) … زجل الحمام، إذا يطير ويسجح[١٢]

هذا (ابن حارثة) يطوف مبشرا … بالنصر يخزى الكافرين ويفضح

لما تردد فى البلاد صداكما … أمست قلوب المسلمين ترَوح

فكأن كلا معرس ، وكأنما … منه ومنك مهنئ ومرفح[١٣]

قل يا (أبا سفيان[١٤]) غير ملوح … فالنصر يخطب ، والسيوف تصرح

بيض على بلق ، تساقط حولها … سود مذممة تساف وترمح[١٥]

ذهبوا ، وأخلفهم رجاء زلزلوا … فيه ، فزال كما يزول الضحضح[١٦]

أكذاك يختلف الزروع ، فناضر … ضافى الظلال ، وذابل يتصوح ؟

القوم غاظهم الصحيح ، فزيفوا … ومن الأمور مزيف ومصحح

خطأ الزمان فشا ، فلذ بصوابه … وانظر كتاب الخلق كيف ينقح ؟

جاء (الإمام العبقرى) يقيمها … سنناً مبينة لمن يستوضح

---

(١) عتبة بن ربيعة ، برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار ، فقال : إنما أريد أكفائى من قريش ، ونادى مناديهم : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا ، فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلى رضي الله عنهم ، فقتل على الوليد ، وقتل حمزة عتبة ، وتبادل عبيدة وشيبة ضربتين أرتاقيهما ، فكر حمزة وعلى فأجهزا على شيبة ، ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل ، وكانت الضربة فى ركبته ، فأفرشه النبي قدمه الشريفة فوضع خده عليها ، وقال له صلى الله عليه وسلم (أشهد أنك شهيد) قال عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حيا ليعلم أينا أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله … ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال : —

فإن يقطعوا رجلى فانى مسلم … أرجى به عيشا من الله عاليا

وألبسنى الرحمن من فضل منه … لباسا من الإسلام غطى المساويا

مات رضى الله عنه من هذه الضربة ، فهو من شهداء بدر

(٢) هو الوليد بن عتبة

(٣) شيبة بن ربيعة

(٤) أمية بن خلف قتله بلال ، وإلى هذا سبقت الإشارة فى القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات : —

أرنى يديك أفيهما (لأمية) … ورد من الموت الذعاف مثمل

للسيف سيف الله أهول موقعا … من صخرة تانى ، وحبل يفتل

لك فى غد دمه إذا التقت الظبى … تحت العجاجة ، والرماح الذبل

(٥) لا يدفع

(٦) ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود ثم جاء برأسه إلى النبي فحمد الله ، وجاء أنه سجد خمس سجدات شكرا ، وفى رواية صلى ركعتين وقال : الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

(٧) نوفل بن خويلد . قال على : أنا قتلته ، فكبر النبي وقال : الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه ، فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع : يا معشر قريش ، اليوم يوم الرفعة والعلا ، فقال النبي : اللهم اكفنى نوفل ابن خويلد ، وإنما قال على أنا قتلته ، جوابا لقول النبي : من له علم = بنوفل بن خويلد ؟

(٨) المراد أبو جهل لعنه الله ، وهو المسمى فرعون هذه الأمة على لسان الرسول الكريم

(٩) لما جئ برأسه الى النبي صلى الله عليه وسلم حمد الله ، وفى رواية أنه سجد خمس سجدات شكراً ، وجاء أنه صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

(١٠) وجدت فى جسد أبى جهل آثار سود كآثار السياط ، شبيهة بسمة النار ، وهذا من ضرب الملائكة

(١١) هو أمية بن خلف ، وقد سبقت الإشارة إلى قصته ، ويشبح يشق ويفعل به كالجلد المشبوح ونحوه

(١٢) لما فتح الله على المسلمين أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيراً لأهل العالية ، وهو موضع قريب من المدينة ، وزيد ابن حارثة بشيراً الأهل السافلة ، سجحت الحمامة بمعنى سجعت

(١٣) أعرس الرجل بأهله بنى عليها ، ورفحه قال له : بالرفاء والبنين

(١٤) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، لما قدم على أهل مكة بعد وقعة بدر ، سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال : هلم إلى ، عندى الخبر ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، فغضب أبو لهب

(١٥) تضرب بالسيوف وتطعن بالرماح

(١٦) الضحضح السراب

صدى الوقعة في مكة

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيرا ، وحزن المشركون حزنا شديدا ، فأقيمت المآتم ، وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره في اللحمة الخائبة ، فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رآى وقال : لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك والله الملائكة ، فضربه أبو لهب في وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة لبابة عمودا فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب سيده ؟ فولى ذليلا ، ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات :

وضح اليقين لمن يرى أو يسمع ... ولقلما تجدى الظنون وتنفع
النصر حق ، والنبيُّ صادق ... والويل للمغرور ، ماذا يصنع ؟
إخشع (أبا لهب) فإن تك ذا عمى ... فجبال مكة ، والأباطح خشع
(مولى رسول الله) يضرب ماجنى ... ذنبا ، ولم يك كاذبا يتشيع
هى يا (أبا لهب) كتائب ربه ... نزلت ، تذل الكافرين وتقمع
أخذت (لبابة)[١٧] للضعيف بحقه ... ومضى الجزاء ، فأنت عان موجع
وشفته منك بضربة ما أقلعت ... حتى رمتك بعلة ما تقلع[١٨]
قالت بغيت عليه ، واستضعفته ... أن غاب (سيده) وعز المفزع
ما (بالعمود) ولا برأسك ريبة ... إن النوى بمثل ذلك يردع
حييت (أم الفضل) تلك فضيلة ... فيها لك الشرف الأعز الأمنع
الله أهلكه بداء ماله ... شاف ، ولا فيه لآس مطمع
تمضى البشائر جولا ، وتجول في ... دمه السموم ، فجلده يتمزع
أمسى المكاثر بالرجال مبغضا ... يجفى على قرب المزار ويقطع
أكلته صاعقة العمود ، وإنما ... أكلته سبع[١٩] بعد ذلك جوع

(١٧) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وكانت من السابقات إلى الإسلام

(١٨) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها ، وتخاف عدواها أشد الخوف فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات

(١٩) الليالى السبع التى مات بعدها

هم غادروه ثلاثة في داره ... لا الدار تلفظه ، ولا هو ينزع[٢٠]
تتجنب الأيدى غوائل دائه ... فيدع بالخشب الطوال ويدفع
رجموه ، لو كره السفاهة فارعوى ... ما ساء مهلكه ، وهال المصرع
ما أكثر الباكين ملء جفونهم ... للجمع بالبيض البواتر يصدع
جز النساء شعورهن ، وغودرت ... للحزن منهن الدموع الهمع
رجمن مكروه العويل على أسى ... و(البيت) يشهد و(الحطيم) يرجع
والمسلمون بنعمة من ربهم ... فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر ، لا مرد لحكمه ... هو ربنا ، وإليه منا المرجع

(٢٠) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى داروه

يتبع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

... والمسرح أيضا

ما تزال « البندقية » تتصدر الحركة الأدبية والفكرية والفنية في هذه الأيام فهي بعد أن فضت مؤتمر الفنانين الذي عقد في شهر سبتمبر الماضي ، جمعت مؤتمر المعهد الدولي للمسرح خلال الشهر المنصرم ، واشتركت فيه ١٦ دولة أوربية وآسيوية وأمريكية . وعني المؤتمر بعلاج المشكلات والعقبات التي تقف دون تقدم الفن المسرحي ، على أساس مطالبة الدولة بمساعدة مالية دون أن تفرض رقابتها سواء من الناحية السياسية والفكرية والفنية ، كما نظر المؤتمر في ضرورة مقاومة الاستغلال الذي يقوم بين الوسطاء بين المسرح والجمهور ، وصون حقوق المخرجين والفنيين الذين يقومون بإعداد المسرح وترتيبه

وبينا كان هذا المؤتمر منعقدا في البندقية ، انعقد في باريس اجتماع اليونسكو لدراسة « حق الإنسان في المساهمة في الحياة الثقافية » بعد أن عهد إلى مجموعة من المربين بدراسة هذه المشكلة وإيجاد حل إيجابي لها

حق الأديب في الحياة الكريمة

في هذا الوقت الذي توقع فيه اتفاقية حقوق المؤلفين في البندقية ، تدور في الصحف العربية معركة ، مشتركة ، لا أدرى كيف تلاقت الأفكار حولها دون سابق ارتباط

ففي صحيفة « العمل » التي تصدر في لبنان مقال بعنوان « الموهوبون » يقول فيه كاتبه الأستاذ راجي الراعي :

« منذ خلق الأدب والفن والأديب والفنان مظلوم محروم ، ونحن نعلم أن الآلام هي القيثارة التي تحمل أوتار الأديب ، والدواة التي يغمس فيها قلمه ، والعرائس التي تأتيه بالروائع ، وأن بين الرعشات والتنهدات والعبرات والجراحات تهبط الآيات الخالدات ، فلا نريد أن نخرجه من دنياه ، ولكننا نريد له جوا فسيحا مريحا يتسع لجناحه ، وبيتا يملكه وفيه القليل الذي لابد منه لبلد الكثير الذي يتمخض به خياله ، وحديقة ينتشق فيها الورود ليأتيك بورود . ونريد له ما يبتاع به الضمادة والرداء ، وما تتطلبه المعدة القاهرة التي لا تعرف الهدنة والعياء . وما يقيه قيظ الصيف وزمهرير الشتاء .. شر الظلم هذا الذي يعانيه صاحب الوحي والقلم ، ولقد حان لنا أن نرفع الموهوب إلى المكانة التي تليق به وأن نريحه من الأنبار التي تدميه ... »

الرصافي أحد الضحايا

وفي نفس الوقت تنشر جريدة « النبأ » في العراق مقالا للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري يقول

« أرأيت كيف يعيش الرصافي ؟ ! »

أشك بأنه مات من سوء التغذية ! وأنه كان لا يجد بعض الأحايين ثمن الدواء الذي يقرره له أصدقاؤه الأطباء !

أهكذا يجب أن يعيش العباقرة لمجرد أنهم شعراء بينما غيرهم من الجهلة واللصوص يسكنون القصور الفارهة والبيوت الشامخة

قد تقول ... لم لم يجار السلطات الحاكمة ليعيش برفاه ، وهنا بيت القصيد وعلة العلل . الرصافي كرجل وكشاعر في زمن وصل فيه الظلم الاجتماعي إلى التدهور ، وليس من العدالة أن لا يدخل في حلبة السياسة ليذب عن المظلومين ويناضل عن المنكوبين من أبناء الشعب ، ولو أنه ترك السياسة في سبيل العيش الرغيد والمنصب الرفيع كان مجرما بحق رسالته التي كافح من أجلها راضيا صابرا رغم بؤسه وجوعه وعذابه

وإذا اشتغل الشاعر بالسياسة وكان ضد الحكومة والسلطة الحاكمة ، والرجال الذين بيدهم الأمر والحل والربط ، فيجب أن يموت جوعا لأنه لا يمشي في ركابهم »

الألم العبقري ليس ألم الجوع

وفي عدد آخر من جريدة « النبأ » يقول الكاتب « إن الأديب والشاعر لا يمكنه أن يبدع ويخلق وينتج ما هو خالد وجدير بالبقاء ما لم يتنعم على الأقل بمباهج الدنيا لأنني أختلف مع الذين

يقولون إن الجوع يخلق ، ولا أدرى كيف يمكن الإنسان الجائع أن يفكر تفكيرا صحيحا ، إذا كانت معدته خاوية ! وأظن أن شوقى عندما قال :

تفردت بالألم العبقرى وأنبغ ما فى الحياة الألم

لم يك يقصد بالألم العبقرى ألم الجوع

ومعنى هذا أن القضية واحدة ، ومتصلة ، ولكنها قضية الشرق كله ، وأعتقد أن الذى أثار هذا الحديث فى مختلف صحف البلاد العربية هو ما ذكره الدكتور طه حسين فى كلمة فى مؤتمر البندقية عن حق الأديب فى الحياة

ألوان . . .

من أخبار هذا الأسبوع الأدبية الإفراج عن كتاب « المعذبون فى الأرض » وقد سعدت بلقاء الأستاذ العميد مساء الخميس ، وحضر الاجتماع كاتبين من كتاب الشباب

وقد تحدث الدكتور مع أحدهما عن رأيه فى أسلوب الشباب الأدبى ، معلقا على كتاب من الكتب ... فقال إنه يكره جدا للشباب هذا الاتجاه نحو العامية فيما يكتبون ، وإن فى اللغة الفصيحة ما يمكن الكاتب من أن يبلغ نفوس القراء إذا كان يريد الحديث إلى أدنى طبقاتهم وأقلها ثقافة

وذكر فى هذا المجال عبارة الفيلسوف اليونانى القديم « قبل كل شئ يجب أن تتكلم اليونانية »

وجاء ذكر الأستاذ محمد السباعى فقال العميد إنه ممن استفدت منهم حقيقة ، وممن لهم الفضل الأول فى إعطائى صورة عن الأدب الإنجليزى ، وإن أول شئ قرأته عن سبنسر كان عن طريق ترجمة السباعى .. وأضاف الدكتور أن من خير ما أعجبه من إنتاج السباعى كتاب « الصور »

ومما يذكر فى هذا المجال أن مكتبة المعارف قد أخرجت للعميد كتابا جديدا ضخما اختار له اسم « ألوان » ... وهو خلاصة حية لفنون الأدب العالمى المعاصر « وألوانه »

بين الرافعى وشوقى

أشار الأستاذ « كمال النجمى » فى كلمة له فى « الجمهور المصرى » عن خصومات شوقى بين الرافعى والعقاد وجلة رأيه فى هذا أن الرافعى غير رأيه فى شوقى ، وأن العقاد ظل مصرا على رأيه فيه إلى النهاية .. وهذا الرأى بعد أن تبين للأستاذ النجمى ، أن ما كتبه الأستاذ شفيق منصور عن الكتاب « الذى لم يصدر » عن شوقى ، كان مجرد مداعبة للكاتب بمناسبة ذكرى أمير الشعراء

ومما يذكر فى هذا المجال أن الرافعى قال فى كلمته التى نشرها المقتطف بعد وفاة شوقى إن السر فى عبقرية شوقى أنه لم يكن « مصريا » .. وقد أزعجت هذه العبارة المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى ففتح بابا أسبوعيا فى جريدة البلاغ عنوانه « مصر الشاعرة » ظل يختار فيه كل أسبوع لمحات من قصائد الشعراء المصريين طوال العصور الماضية تعزيزا لهجومه على رأى المرحوم الأستاذ الرافعى

ومن الذين غيروا رأيهم فى « شوقى » الدكتور هيكل .. فبعد أن كتب مقدمة الشوقيات كتب فصولا فى السياسة فى مهاجمة شوقى

حول الأدب النسوى

أرسلت إلى الكاتبة (ل . س) قصائد من الشعر المنثور ترغب فى نشرها فى الرسالة . . . وقد هاجت الرأى الذى أعلنته فى إحدى المقالات السالفة عن « الأدب النسوى »

تقول : أدهشنى ياسيدى أنك تتجنى على المرأة بغير شفقة ناسيا أو متناسيا تلك القطعة النثرية الرائعة التى كتبتها « ابنة الشاطئ » والتى مطلعها

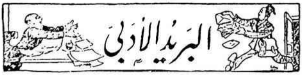
«شاقنى أن أرفع إليك نجواى...وقدفصلتنى عنك قطعة من الزمان..»

. . والحق أننى لا أعرف أن للسيدة الدكتورة بنت الشاطئ شعراً منثوراً .. أما أننى أتجنى على المرأة . . فلا وألف مرة لا

أنا على ثقة بأن « الأدب النسوى » لم يكتب بعد ، وأن كل مايكتب الآن ماهو إلا لمحات عامة ، لم تأخذ بعد الصورة النهائية الواضحة . . الجديرة بأن يطلق عليها هذا الاسم

صحيح أننى أقرأ هذه الأيام لأسماء جديدة :

. . . الزهرة ، الزهراء ، نعمات أحمد فؤاد ، نفيسة الشيخ ،



البريد الأدبي

قيس بن ذريح أم قيس بن الملوح ؟

منذ أيام كنت أقرأ في كتاب « أبحاث ومقالات » للأستاذ أحمد الشايب الذي صدر سنة ١٩٤٦ ، فوجدت في مقاله السادس عن الغزل في تاريخ الأدب العربي صفحة ٢٨٣ قصيدة :

تكاد بلاد الله يا أم مالك — بما رحبت يوما على تضيق

« للمجنون » كما نسبها الأستاذ الفاضل في كتابه ، ووجدت أن هذه القصيدة مازالت عالقة بذهني ورأيت أنني كنت قد نقلتها عن « الأغاني » لأبي الفرج . فرجعت إليها وتحققت أنها لقيس ابن ذريح لا لقيس العامري والتي من أبياتها مايثبت صحة نسبها إليه :

سلى هل قلاني من عشير صحبته ... وهل ذم رحلي في الزمان رفيق
تكاد بلاد الله يا أم معمر ... بما رحبت يوما على تضيق
تكذبني بالود لبنى وليتها ... تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني ... لكم والهدايا المشعرات صديق
أزود سوام الطرف عنك وهل لها ... إلى أحد إلا إليك طريق
تتوق إليك النفس ثم أردها ... حياء ومثلي بالحياء حقيق
فإني وإن حاولت صرمي وهجرتي ... عليك من احداث الردى لشفيق

إلى آخر القصيدة. ولست أقصد من وراء هذا أنني أشك في قيمة مقالات الأستاذ وإنما أود التحقق من صحة نسب هذه القصيدة بالذات مع خالص اعتذاري للأستاذ أحمد الشايب..

فالرجا التفضل بالشرح والتوضيح

ل . م

ولكني لا زلت أرى هذه البراعم مازال في طريق التنضوج ، ولا يمكن الحكم عليها

قائمة سوداء

.. أما قصيدة الشعر المنثور « قائمة سوداء » التي تفضلت السيدة بإرسالها إلى فإن في روحها معاني لامعة حية ، تدل على نفسية مجربة خبيرة ، قاست من الحياة وعانت ... فما المانع أن تصاغ هذه التجربة النفسية في قصة . إنها إذن تكون غاية في القوة والروعة ، ولن تتردد الرسالة في نشرها

وإني لأرجو أن تتفضل الكاتبة (ل . م) بأن ترسل إلى عنوانها لأرد على المسائل التي سألتني عنها ردا خاصا لها ، فهو مما لا ينشر على صفحات مجلة الرسالة . ولها تحياتي وإعجابي

أنور الجندي

أوامر مهملة

إن الشعب الذي لا يستجيب لنزعات الإصلاح بل يتمرد عليها ، ولا يتمشى مع خطوات النهضة بل يسخر منها ، هو شعب لا يستحق الحياة ، ولا يصلح للعيش الكريم الذي يليق بالشعوب الكريمة

والأوامر التي تصدرها الدولة عادة تكون في صالح الشعب ، فكان أحرى بالشعب أن يستجيب لها ويرحب بها وينفذها بدقة ، وأجدر به أن يجعل من نفسه حارسا لها من العبث والاستخفاف بها ، وقد كان العهد البائد رزءا ثقيلا على عبء الشعب المصري ، جعله لا يلقي لأوامر الحكومة بالا حتى ولو كانت في خدمته أو صالحه ، أما وقد انقرض العهد البائد إلى غير رجعة ، فالواجب على الشعب أن يفتح أعينه من جديد ليدرك في أي عهد يعيش ، وليدرك أن العهد الجديد يتطلب شعبا جديدا يتعاون مع نزعات الإصلاح ويتمشى مع خطواته

وأعتقد أنه من أهم الخطوات الإصلاحية إيجاد شعب قوى يتمتع بصحة جيدة ، وعافية وافية، ولن يتيسر وجود هذا الشعب إلا إذا كان للأوامر الصحية لديه ترحيب وتقدير ، لا سخرية واستخفاف

وإليك مثلا واحداً لأمر واحد من الأوامر الصحية المهملة في هذا البلد ، وهو أمر نلمسه جميعا صباحا ومساء وفي معظم أوقات اليوم ، فأنت حين تركب « تراما » أو سيارة عامة لا بد أن تقع عيناك على لافتة بارزة وواضحة للجميع كتب عليها « البصق والتدخين ممنوعان بأمر وزارة الصحة » كل منا قرأها مرارا وتكرارا ، ولكن هل هناك اهتمام لهذا الأمر ؟ كلا وألف كلا .. إن الركاب ولاسيما الطبقة المثقفة — ويا للأسف — يصرون على تدخين لفائف التبغ داخل المركبات العامة ويكاد

الدخان المتصاعد منها يطمس أحرف اللافتة ، ويصرون على البصق وهم يرمقون اللافتة بنظرات تنم عن السخرية والاستخفاف !

هذا مثل واحد للأوامر المهملة ، وأعتقد أنه لا يكفى أن تدون الأوامر فى لافتات إذا لم يكن وراءها قوانين قاسية تؤدب المخالفين ، وإلا فلن يكون مصيرها إلا الإهمال والاستخفاف !

نفيسة الشيخ

مهرجان الشعر

تحدث الأستاذ أنور الجندى فى العدد « ١٠٠٩ » من الرسالة الزاهرة عن مهرجان الشعر الذى دعت إليه جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة ، احتفالا بيوم الجيش .. وقد استوقفتنى أشياء عديدة فى حديثه ، إحداها أنه كان يود أن يسمع قصيدة عصماء من الأستاذ خالد الجرنوسى .. وهذا القول يدل على أن الأستاذ الجندى لم يشهد المهرجان ؛ لأن الأستاذ الجرنوسى ألقى فعلا إحدى قصائده ؛ اللهم إلا إذا كان الأستاذ الجندى لا يرى فيها أنها قصيدة عصماء ! ؟

ويعجب الأستاذ الفاضل من أن الذين تحدثوا كانوا من الشعراء الجدد ، ثم يتحدث عنهم بكثير من العطف ، أعتقد أنا ، ويعتقدون معى أنهم فى غنى عنه

وأرى أنه من الطبيعى أن يتحدث الشعراء الشبان ، لأنهم يمثلون — أصدق تمثيل — تطور العقلية الأدبية فى مصر ، ولأنهم أحسوا أكثر من غيرهم آلام وطنهم المكبل ، فاهتزت عواطفهم ووجداناتهم الجائشة ، معبرة عن انفعالاتها ، وأيضا لأن أقلامهم الفتية لم تلوث بمداد الذلة والابتهال إلى الطغاة

وأخيرا أحب أن أقول للأستاذ أنور الجندى ، إنه من اللاحظ على كتابته بصفة عامة .. أنه يصدر أحكاما سريعة ، دون أن يتعمق فهم المؤثرات المختلفة التى توجه التيارات الأدبية ، وتحدد ألوانها .. لاحظت ذلك فى حديثه عن الشعر المنثور ، وعما يسميه مذهب الفن للفن ، وفى حديثه عن الشعراء الجدد ، وغير الجدد ، وفى طريقة تناوله وفهمه للأدب المعاصر ..

محمد فوزى العنتيل

رد على نقد

طالعت فى عدد الرسالة الغراء رقم (١٠٠٥) القصيدة العصماء (وحى البردة) للشاعر المبدع الأستاذ ميشيل الله ويردى ، مؤلف فلسفة الموسيقى الشرقية ، وقد تناقلتها صحف كثيرة وقرظتها أجمل تقريظ ، ثم قرأت فى العدد (١٠٠٧) من الرسالة نقدا للسيد عبد اللطيف محمود الصعيدى يتعلق بكلمات فى القصيدة يظهر أن معانيها خفيت عليه فظنها حشواً ، مع أنه لا يعقل أن يلجأ إلى الحشو شاعر فحل كصاحب هذه القصيدة . ولعل للسيد الصعيدى بعض العذر لأن القصيدة نشرت بدون شكل كما أنه جاء فيها بعض أخطاء مطبعية ، فإيضاحا للحقيقة ونفعا لمن يمكن أن تخفى عليه معانيها الجميلة رأيت أن أرد على نقد السيد الصعيدى مستنداً إلى قواعد اللغة وأحدث المعاجم كالبستان والمحيط وأقرب الموارد

أولا — ليس الوسم بمعنى الوسامة ، بل هو مصدر وسم الشئ أى طبعه بطابعه ، أما الأرم فهو العلم ، ومن معانيها العلامة والأرْم ، وأرم الشئ أرما ، شده وضم بعضه إلى بعض ، كضرب ضربا ، أو بفتح الراء كطلب طلبا ، ومنه الأرومة التى تضم الجذوع ، وتستمر فى الحسب ، والمعنى فى الحالين أن الاتحاد الفكرى أهم من الشكلى

ثانيا — السلم بفتح اللام بمعنى السلام ، محيط ص ٩٨٨ ، وقد وردت هذه الكلمة فى قصائد كثيرة ولا مجال لإيراد الشواهـــد

ثالثا — ليست (يكمد) بتشديد الدال بمعنى يستحب ، بل بمعنى كمد الشئ أى تغير لونه ، على وزن افعل مثل اربد واصفر الخ . والمعاجم لا تذكر الأفعال المزيدة إذا لم تغير الزيادة معناها ، ولا سبيل لنقد كلمة تجيزها القاعدة والذوق السليم

رابعا — اللدم خطأ مطبعى ، وصحتها (السدم) بتشديدالسين المفتوحة وكسر الدال ، وهو الشديد العشق وقول الشاعر (ليس دعى الحب كالسدم) من الناحية المنوية كمعنى قول المتنبى (ليس التكحل فى العينين كالكحل) من الناحية المادية

خامسا — الحسم بضمتين الأطباء (البستان ص ٥١٣) وهى جمع حسوم أى الذى يقطع فى الأمر ويتممه على أحسن وجه ،

ويطرد وزن فعل بضمتين فى جمع فعول

سادسا — الجسم بضمتين الأمور العظام ، (البستـان ص ٣٦١) وهى جمع جسيم ، كقضيب وقضب بضمتين

سابعا — الرم بضم الراء الشددة ، الجوارى الكيسات ، وهى جمع رامة ، وقد ظنها الناقد بكسر الراء فكتب ما كتب دون أن يعود إلى المعاجم ، والمعنى أن النساء على ما فيهن من كياسة وظرف ، كن يمشن كالجوارى والإماء قبل عهد الرسول (ص) فلما اشترع حقوقهن كان أول من نادى بهذه المأثرة الاجتماعية ، ونصيحتى إلى السيد الصعيدى أن يعيد قراءة هذه الدرة النفيسة بعد استبدال عدسة منظاره بعدسة ناصعة ، فالإنصاف واجب فى مثل هذه الحال ، والسلام

دمشق حمدي بابل



أرمـــلة

عن الفرنسية

كان ذلك فى أوان الصيد فى قصر بانفيل ، والخريف مطير حزين ، والأوراق المنتثرة ذابلة محمرة لا يسمع لها تقصف تحت الأقدام ، بل تمطن فى السكك بمدارج العجلات تحت شآبيب الديم الهطالة

وكانت الغابة وهى جرداء إلا قليلا تشبه الحمام من الرطوبة . فإذا أوغلت فيها تحت أفنان الدوح العالى يصفقه وابل المطر شملتك رائحة مخمة وهبوه ماء من العشب المخضل والأرض المبتلة

والصيادون حناة الظهور يدبون تحت هذا الفيض الهتون ، والكلاب محزونة ذيولها مرسلة ، وشعرها ملتصق بآطالها ، والنانيات الصائدات فى أثواب الصوف المفصلة لاصقةمشربة بالبلل ، وهم كل مساء يؤوبون من الصيد أنضاء جسم وعقل أجمعين

وفى البهو الكبير بعد العشاء يجتمعون إلى لعبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة . والريح فى الخارج هبات مدوية تدفع فى مصاريع الشبابيك المثلثة ، وتبتدر دوارات الهواء فوق الأبراج فإذا هى من دوران كالخذروف الدوم

فأرادوا أن يسمروا بالحكايات كما تروى فى الكتب ، ولكن الله لم يفتح على واحد منهم بابتداع حكاية مسلية . ومضى الصيادون يقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم بالبنادق وتقتيلهم للأرانب ، وجعلت النانيات يكددن أذهانهن ويتقصين فى ثناياها فلا يجدن خيالا كخيال شهر زاد يسعفهن بحكاية من أمثال حكايات ألف ليلة . وكادوا يكفون عن الأحاديث . وكانت إحدى النانيات تعبث خالية البال بيد عمتها العجوز ، وهى عانس لم تتزوج ، فلحظت خاتما صغيرا من شعرات شقراء طالما وقع ناظرها عليه من غير أن تفكر لحظة فيه

فسألتها وهى تديره فى إصبعها بلطف : « ألا قلت لنا يا عمتى ما هذا الخاتم ؟ لكأنه شعر غلام يافع ... » فاحمار وجه العانس ثم اصفار ، وأجابت بصوت متهدج : « إن الأمر محزن جدا ، محزن جدا ، حتى لست أحب الكلام عنه . وكل مالى حياتى من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت فى غرارة الشباب وقتئذ ، وما زالت تلوعنى الذكرى حتى ليغلبنى البكاء كلما خطرت فى نفسى »

فتلهفوا إلى سماع الخبر ، وأبت العمة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت فى آخر الأمر :

« كثيرا ما سمعتمونى أتحدث عن أسرة سانتيز ، وقد انقرضت اليوم جميعا ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الأخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شعرات الأخير ، وكان فى الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجلى . لقد يبدو لكم الخبر غريبا ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا معشرا عجيبا من المجانين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن مجانين ظرفاء ، مجانين غرام . فهم جميعا — أبا

عن جد — أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السبحات وإلى التفانى وفرط التحمس، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين فى بعض النفوس . وشتان فى الطبيعة والمزاج بين أهل العبادة وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد فى أوساطهم وبين ذوى رحمهم قولهم : « عشق كعشق بنى سانتيز » ، وحسبك أن تراهم فتجد هذا على سياهم . فكلهم شعره ذو خصل منسدلة على الجبين ولحيته جعدة وعيناه واسعتان ينفذ شعاعهما فى نفسك فيبلبلك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لذلك سببا

وكان جد النلام — الذى رأيتم فى إصبعى تذكاره الوحيد — له مغامرات عدة ومبارزات وسبى واستباحة للحريم . وقد هام بعدها وهو فى نحو الخامسة والستين بابنة مؤاجر ضياعه . وإنى لأذكرها . وكانت شقراء شاحبة اللون ، حسنة السمت والشارة ، تتكلم متئدة وفى صوتها لين وترطيب ، ونظرتها حلوة غاية فى الحلاوة كأنها نظرة العذراء فى صور الرسامين . فأخذها السيد الكهل عنده ، وسرعان ماأصبح متيما بها لا يطيق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنه المقيمتان فى القصر يجدان الأمر طبيعيا لطول ماقر الحب فى تقاليد الأسرة . فالموضوع مادام محوره العشق فليس فيه ماتنكرانه وتتعجبان منه . وإذا دار الحديث أمامهما عن هوى قامت الموانع دون قضاء لباناته ، أو عاشقين فسد مابينهما ، أووقائع الانتقام من الخيانة أونقض العهد قالتا معاً فى لهجة شجية : « له الله ! أو (لها الله) لشد ماقد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا المبلغ ! » ثم لم تزيدا على ذلك . وإنهما لترقان لمآسى الحب ، ولا تنتهان قط على أصحابها ولو أجرموا

إلا أنه فى ذات خريف كان بين المدعوين للصيد شاب فى عنفوان الشباب ، هو المسيو دى جراديل فاختطف الفتاة . وظل المسيو سانتيز هادئا كأن لم يحدث شئ . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشنوقا بمرقد الكلاب وهى حوله

وقد مات ابنه مثل هذه الميتة فى فندق باريس فى أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مغنيات الأوبرا له . وترك بعده ولدا فى الثانية عشرة وأرملة هى أخت أبى . وجاءت السيدة ومعها الصغير للمقام عندنا بأرضنا فى بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعا

ولا يسعكم أن تتصوروا كيف كان هذا الصغير سانتيز مدهشا با كر النضوج قبل الأوان . وإنه ليخيل إلى المرء أن جميع صفات أسلافه من رقة عاطفة وسبحات نفس جائشة قد اجتمعت فيه ونزلت به ، بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام حالما ، يتمشى وحيدا ساعات كاملة فى ممشى رحيب بين أشجار الدردار الممتدة من القصر إلى الغابة . وكنت أرقب من نافذتى هذا الصبى الرقيق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويداه خلف ظهره مطرقا إلى الأرض ، وأحيانا يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست لمن كان فى سنه

وكثيرا ما كان يدعونى للخروج بعد العشاء فى الليالى القمرة قائلا : « هلمى يا ابنة الخالة نحلم . . » فنمضى سويا إلى الروض . وكان يتوقف فجأة فى الفجوات بين تفاريج الشجر ، حيث تطفو تلك الهبوة البيضاء مثل نديف القطن يبطن بها القمر فجوات الغاب . ويقول لى وهو يشد على يدى : « انظرى إلى هذا ، انظرى إلى هذا ! ولكنك لا تفهمينى ؛ إنى لأحس ذلك . لو أنك تفهميننى لكنا سعداء . لابد من الحب لمن شاء المعرفة » . وكنت أضحك وأقبله ، أقبل هذا الصبى الذى يحبنى مستهلكا فى حبى . وكان أيضا بعد العشاء كثيرا ما يجلس على ركبتى أمى قائلا لها : « إيه يا خالة ، قصى علينا شيئا من قصص الحب » فتحكى له أمى على سبيل الدعابة أساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لآبائه من الوقائع الغرامية ، والناس يرددون منها الألوف بعد الألوف من صحيحه ومفتراة . إن هؤلاء القوم قد أضاعتهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم تملكهم العزة أن يكذبوا سمعة بيتهم وما اشتهر به

وكان الصغير يهتز لهذه الحكايات : لطيفها وفظيعها ، وكان فى بعض الأحيان يدق بيديه مرددا : « وأنا أيضا ، وإنى لأعلم بالحب منهم جميعا » . ثم جعل يتحبب إلى متنزلا فى استحياء وحنان عميق كانا مثارا للضحك لشدة غرابة الأمر . وكان فى كل صباح يقطف لى جنى الزهر ، وفى كل مساء قبل صعودى إلى مقصورتى يلثم يدى هامسا : « أنا أهواك ! »

لقد أذنبت ، وركبني أعظم الذنب . وما زلت على هذا نادمة باكية لا رقأ لي دمع . وإني لفي التكفير عن هذا طيلة حياتي ، وقد بقيت بعده عانساً لا أتزوج ، بل بقيت كالخطيبة المترملة ، أجل أنا له ، الأرملة . كنت ألهو بهذا الحب الصبياني بل كنت أعمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب ذات الدلال ، وكأني إلى جنب رجل ألاعبه وأخاتله . لقد فتنت هذا الغلام ودلهته بحبي . وكان الأمر عندي لعباً ومعابثة ، وعند أمي وأمه تسلية وترويحا . لقد كانت سنه اثنتي عشرة سنة ، فتأملوا ! من كان يأخذ مأخذ الجد هذا الغرام الدري ! فكنت أقبله ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل العشق إليه وأقرئها أمي وأمه قبله ؛ وكان يجيب عليها بكتب مسطورة ، كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان معتقداً أن صلتنا الغرامية كانت سراً مكتوماً ، وكيف لا وهو يعتد نفسه رجلا والأمر في عرفه الجد كل الجد . وقد غاب عنا أنه من بني سانتيز

ودامت الحال على هذا المنوال عاماً أو قرابة عام . وفي ذات مساء ونحن في الروضة خر جاثياً عند قدمي ولثم حاشية ثوبي في اندفاع المهتاج مردداً : « أنا أهواك ، أهواك ، أنا ميت في هواك . وإذا خنتني في يوم من الأيام ، أسامعة أنت — إذا هجرتني إلى سواي فإني صانع مثلما صنع أبي ... » وأردف في صوت عميق يقشعر له البدن : « أنت عليمة بما صنع ! »

ولما وجمت ولم أحر جوابا نهض وشب على أطراف قدميه ليبلغ إلى أذني — وكنت أفرع منه طولا — ودعاني باسمي ، إسمي الأول ، « جنفييف ! » بنغمة حلوة جميلة رقيقة شملتني منها قشعريرة سرت من فرعي إلى أخمص قدمي

فتمتمت : « لنرجع ، لنرجع إلى الدار » . فلم ينبس بكلمة وسار في إثري ، فلما هممنا بصعود درج السلم استوقفني قائلا : « أتعرفين ؟ إذا هجرتني فإني قاتل نفسي »

فعلمت هذه المرة أنني تماديت حيث لا يجب التمادي وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات يوم يعتب على أجبته : « أنت اليوم أكبر من عبث المزاح وأصغر من جد الحب . وإني في الانتظار » . وحسبتني بهذا قد أبرأت ذمتي

وفي الخريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية! فلما عاد في الصيف التالي كنت مخطوبة . فأدرك الأمر في الحال ، والتزم مدى ثمانية أيام هيئة المفكر الغارق في التفكير . فأهمني ذلك وساورني منه قلق شديد

وفي صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نومي فوقعت عيناي على رقعة صغيرة مدسوسة من تحت الباب . فتناولتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد هجرتني ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت على نفسي بالموت . وإني لأحب ألا يعثر بي أحد غيرك ، فتعالي إلى الروض في نفس الموضع الذي قلت لك فيه أني أهواك وتطلعي في الفضاء »

فكدت أن أجن . وأسرعت بارتداء ثيابي وهرولت على عجل أجري وأجري وأكاد أتساقط إعياء إلى المكان المعين . وإذا قبعته الصغيرة المدرسية ملقاة على الأرض في الوحل . فقد كانت الليلة مطيرة . ورفعت طرفي فأبصرت شيئاً معلقاً يترجح بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدري بعد ذلك ماصنعت . لقد صرخت أول الأمر ولا ريب ، ولعلني سقطت بعدها مغشيا علي ، ثم عدوت هائمة على وجهي إلى القصر ، وثبت إلى الرشد في فراشي وأمي إلى جانبي تخيل إلي أني رأيت ما رأيت كله في هذيان حلم فظيع . فتمتمت: « وهو ، هو ، جونتران ؟ » فلم يجبني أحد . إنها الحقيقة

ولم أجرؤ على طلب رؤيته . وطلبت إليهم خصلة طويلة من شعره الأشقر . وهذي ... هذى ... هي ... »

ومدت العانس يدها الراجفة بحركة القانط المقطوع الرجاء وأخرجت منديلها ومخطت مرات ومسحت عينيها الدامعتين واستأنفت تقول : « ونقضت الخطوبة دون إبداء سبب ... وبقيت ... العمر كله أرملة ... أرملة ... هذا الصبي ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها وبكت طويلا بدموع الذكرى

ولما انصرف المدعوون إلى حجراتهم للرقاد، مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه إلى أذن جاره هامساً : ألا ترى أن رقة الوجدان إلى هذا الحد بلاء وشر بلاء !

مطبعة الرسالة